بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست العدد

المقدّمة 7

المخاطر النفسيّة والإكلينيكيّة لشبكات التواصل على الشباب 11

آليّات التلاعب النفسيّ 16

تعاطي الشبكات الاجتماعيّة 17

ثقافة الاستهلاك والشراهة 23

ثقافة الصورة وتسطيح الذهن 25

القدوات الاجتماعيّة 27

صناعة الجهل وترويج الشائعات 28

الشبكات الاجتماعيّة والتفكّك الأسريّ 29

التنشئة في عالم الشبكات الاجتماعيّة 32

التشكُّل الاجتماعيّ والغرس الثقافيّ 34

الحتميّة التكنولوجية والتفكّك الاجتماعيّ 43

الاستلاب الحضاريّ وغياب الدولة 44

خوارزميّات الشبكات وعصر «ما بعد الحقيقة» 47

التمحور حول الذات 47

تسييس التكنولوجيا 49

الشبكات الاجتماعيّة في الميدان 51

ترويج الجهل.. ترويج «الإسلام الأميركيّ» 54

الشبكات الاجتماعيّة والتديُّن الفرديّ 55
من السيطرة الخفيّة إلى السيطرة المعلنة 59
السيطرة الجديدة 64
الشبكات الاجتماعيّة والرقابة المسيّسة 66

توصيات/ اقتراحات/ نماذج حلول

حلول فرديّة 69
حلول أهليّة 70
التوصيات 73

لائحة المصادر والمراجع 74

المقدمة

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعيّ أهمّ وسيط يتبادل عليه الشباب المعلومات والاتصالات الشخصيّة، فضلًا عن أنّها باتت السلطة الأكثر سطوةً على القيم والأفكار والقناعات، حتّى أنّها صارت المكوّن الأساس في شخصيّة «الفرد الرقميّ»، والأداة الأولى لهندسته الاجتماعيّة والنفسيّة والقيميّة والذهنيّة لإعادة صياغة وعي الشباب وتوجيهه إلى أهداف وثقافات ورؤى كونيّة غربيّة «نيوليبراليّة»، ما يؤثّر حتمًا على أنماط سلوكهم في تعاملهم في المجتمع الواقعيّ.

أصبح من الضروري مع الحيّز الذي تشغله شبكات التواصل الاجتماعيّ في الروتين اليوميّ لمعظم شباب مجتمعاتنا، والتي ظهرت تأثيراتها السياسيّة الهائلة كأداة رئيسة ارتكزت عليها «الثورات الملوّنة»، أن يُسلَّط الضوء على إيجابيّات وسلبيّات وخفايا هذه الأداة المهمّة، وذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمّة.

سنوضح في هذا البحث أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ ليست مجرّد أداة تقنيَّة، بل تحمل في هيكلها وطريقة عملها رسالة، لها تداعيات على شبكة العلاقات الإنسانيَّة والمنظومة الحضاريَّة التي ينتمي إليها من يستخدم هذه الشبكات[1]، وسنحلّل «الفجوة الثقافيَّة»[2] التي تُحدثها هذه الشبكات، والتي تُحتّم على المجتمع أن يعيد تنظيم نفسه، ويقدّم الاستجابة المناسبة لهذا التحدّي، وأن يدرس تأثيرها في علم اجتماع الشبكات الاجتماعيّة، وما تفرّع

1 – المباني الفكريّة لوسائل التواصل الاجتماعيّ، إعداد: مركز المعارف للدراسات الثقافيّة، بيروت – لبنان، ص 10.

2 – التعبير لـ«وليام أوجبرن – William Fielding Ogburn»، عالم الاجتماع الأميركيّ (1886 – 1959) الذي شغل منصب أستاذ علم الاجتماع في جامعة شيكاغو في عشرينيَّات القرن الماضي. كما شغل العديد من المناصب المهمّة في جامعات ومؤسّسات علم الاجتماع في الولايات المتَّحدة. وهو صاحب نظريَّة «الفجوة الثقافيَّة» التي تنصّ على أنَّ التغيُّرات التكنولوجيَّة الماديَّة عادة ما تحدث بسرعة أكبر من التغيّرات اللاماديَّة أو القيميَّة في المجتمعات الإنسانيَّة.

عنه من موضوعات من قبيل: الهويّة الافتراضيّة، والنزعة الفردانيّة الرقميّة، وإدمان الشبكات الاجتماعيّة، والدمقرطة الشبكيّة، صحافة المواطن والإعلام الاجتماعّي، والعزلة والتشبيك الاجتماعيّ وغيرها.

أحدث التطوّر في تكنولوجيا الاتّصال والتواصل تغيّرًا في وجه الحضارة البشريّة المعاصرة، حيث أصبح التقدم التكنولوجي في قلب مجتمع ما بعد المعلومات إن صح التعبير، «مدفوعًا بمجموعة من محرّكات القوى Driving Forces التكنولوجيَّة يأتي على رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، وتطبيقات الموبايل Mobile App، وإنترنت الأشياء Internet Of Things، والذكاء الصناعي Artificial، وتقنيات الواقع الافتراضيVirtual Reality، بصورة تدفع بقوّة نحو إنشاء حياة جديدة تسيطر فيها التكنولوجيا على شكل الحياة البشريّة، وتُعيد صياغة كافّة التفاعلات الشخصيَّة والدوليَّة».

في هذا السياق، تأتي هذه الدراسة كمحاولة مختصرة تسلّط الضوء على آثار الشبكات الاجتماعيَّة على الشباب والمجتمع، وتقاربه بنحو تَبرز فيه الآثار والمناشىء بمنهجيَّة علميَّة موثّقة لا تُغفل المباني الفكريَّة لوسائل التواصل الاجتماعي مستفيدةً من عشرات المصادر والمراجع من كتب ومقالات ورسائل وأطروحات جامعية.

ونحن إذا ننصح بقراءة هذا التقرير قراءة متأنيَّة واعية، لا يسعنا إلا أن نقدّم خالص الشكر والامتنان لمعدّ هذه المادة الباحث القدير شادي علي، وندعو له بالتوفيق الدائم.

المقدمة

وصل «مركز أمان للإرشاد السلوكيّ والاجتماعيّ» في مسحٍ أجراه على الاتجاهات القِيَميَّة والسلوكيّة لطلاب المرحلة الثانويّة في لبنان، إلى نتيجة مفادها أنّ 93% من الطلاب يستخدمون الإنترنت، وأنّ استخدامه في المرتبة الأولى بغرض التسلية بواقع 81.2%، وأنّ نسبة 50% من الطلاب صرّحوا بأنّهم لا يخضعون لأيّ نوع من الرقابة من الوالدين على استخدام الإنترنت، الباقون قالوا إنّ الرقابة تقتصر على مجرّد السؤال عمّا يفعلونه على الإنترنت.

أمّا عن استخدام الهاتف الخلويّ، فأقرّ 70% من الطلاب أنّهم غير خاضعين لأيّ نوع من الإشراف أو الرقابة من الوالدين، وأنّ 88% من الهواتف التي بحوزتهم موصولة بطريقة ما إلى الإنترنت، وأنّ 63% منهم يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعيّ عبر هواتفهم الخليويّة[1].

كما أشارت إحصاءات «منظمة اليونيسيف» في تقريرها الدوريّ[2] أنّ نسبة الأطفال الذين تقلّ أعمارهم عن 18 سنة تمثّل ثلث مستخدمي الإنترنت في أنحاء العالم المختلفة، وأنّ معدل استخدام الإنترنت بين الأطفال دون 15 سنة مماثلٌ للمعدل عند البالغين فوق 25 سنة. وعبر تحليل بيانات 45 دولة، ظهر ارتفاعٌ في متوسّط زمن بقاء الشخص على مواقع التواصل الاجتماعيّ من 90 دقيقة يوميًّا في العام 2012 إلى 143 دقيقة يوميًّا في العام 2019 [3]. أمّا متوسطات الاستخدام بين طلّاب الجامعات، فوصلت إلى من 2 ~ 5 ساعات

1 – مجلة نجاة – العدد (41) – شتاء 2016، بيروت – حارة حريك، ص 28.

2 – منظمة الأمم المتحدة للطفولة (2017). الأطفال في العالم الرقمي: تقرير حالة أطفال العالم، ص 8. استرجع بتاريخ 24/06/2023

3 – دراسة لمؤسسة GLOBAL WEB INDEX منشورة على موقع بي بي سي بعنوان: «ما الدول التي يقضي سكانها أطول الأوقات على مواقع التواصل الاجتماعي؟»، بتاريخ 10/09/2019.

يوميًّا[1]. أمّا الأطفال، فعلى سبيل المثال والعيّنة، في إحصاء رسميّ حكوميّ أجرته دولة الكويت لرصد هذه الظاهرة، خلصت إلى أنّ نسبة مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعيّ من الأطفال بعمر (4 ~ 12) بلغ 85% من مجموع أطفال الكويت[2].

أمّا عن تأثير الشبكات الاجتماعيّة في حياة النشء، فحسب إحصاءات، فإنّه بداية من العام 2010 زادت معدّلات الانتحار بمعدل 62% بين الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهنّ بين 15 ~ 19 عامًا، كذلك انخفضت معدلات النجاح في الحصول على رخصة قيادة للفتيات في الفئة العمريّة نفسها، ما تفسيره أنّه نتيجة مباشرة لدخول وسائل التواصل الاجتماعيّ إلى الروتين اليوميّ، تسبّب في زيادة معدلات «الخوف من المواجهة»[3]؛ إذ تعدّ الشبكات الاجتماعيّة هي الحلّ الأسهل لهّن للتغلّب على أزمات الثقة بالنفس والخوف من عدم «القبول»، ومن ثمّ العزلة والفشل الاجتماعيّ.

أيضًا في دراسة[4] على 1000 طالب من المدارس المختلفة ممّن هم في سنّ المراهقة (9 ~ 17)، ظهر إجماعٌ من أفراد العيّنة المبحوثة على تعرّضهم المستمرّ لمحاولات إقامة «علاقة عاطفيّة» عبر الشبكات الاجتماعيّة، بلغت حدّ تعرّضهم لمجرمين حاولوا استدراجهم جنسيًّا في 30% من الحالات. وتظهر الدراسة نفسها أنّ 32% واجهوا مشكلات عنصريّة على الشبكات الاجتماعيّة.

1 – منال عبده محمّد منصور، التأثيرات المترتّبة على استخدام الشباب الجامعيّ لمواقع الفيسبوك، المجلة المصريّة لبحوث الرأي العام، العدد السابع والثلاثون، (يناير. – يونيو) 2011 & أمين سعيد عبد الغنيّ: تأثير استخدام الانترنت على القيم والاتجاهات الأخلاقيّة للشباب الجامعيّ، المؤتمر العالميّ السنويّ السابع، كليّة الإعلام، جامعة القاهرة، الجزء الرابع، مايو 2003.

2 – Statecounter (2014). Social Media Stats Kuwait.

3 – وثائقي «المعضلة الاجتماعيّة – The Social Dilemma»، شبكة نت فليكس، – الدقيقة 41.

4 – Danaili, W. (2012). Teens› Use of Social Media: Positive or Negative?. curriculum Review. 52(2), 10 – 11.

المخاطر النفسيّة والإكلينيكيّة لشبكات التواصل على الشباب

خلافًا لكبار السن، فإنّ الدراسات[1] أظهرت أنّ الأطفال والمراهقين هم الفئة الأكثر حساسيّة للمؤثّرات الناتجة عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ وسلبيّاتها على المستوى الفرديّ، أهمّها:

- الإصابة بـ «الرهاب الاجتماعيّ» بسبب عدم القدرة على مواجهة الآخرين.
- التلعثم في الكلام بسبب فترات العزلة الطويلة، والاكتفاء بالتواصل في العالم الافتراضيّ.
- فقدان فرصة التفاعل العاطفيّ المباشر مع أفراد الأسرة[2].
- التوحُّد بالشخصيّات المؤثِّرة على الشبكات الاجتماعيّة، ومحاولة تقليدها على أمل الحصول على شيء من مكانتها ومقبوليّتها الاجتماعيّة (الإعجابات)، ما يؤدّي إلى حدوث تغيير غير مباشر وتدريجيّ وخفيّ في هويّة المستخدم ونفسيّته.

أظهرت الدراسات أنّ الأطفال والمراهقين هم الفئة الأكثر حساسيّة للمؤثّرات الناتجة عن استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ

- العصبيّة الزائدة والقلق؛ لأنّ الشابّ يعتاد الحصول على ما يريد في العالم الافتراضيّ بكبسة زر -حرفيًّا-، ويمكنه كذلك التعبير عن مشاعره بكبسة واحدة، فيمكنه مثلًا أن يعقد صداقة أو يلغيها بكبسة، فيما أنّه في الحياة الطبيعيّة غير معتادٍ على متطلّبات بناء الثقة والاستماع للآراء المعارِضة، أو الأخذ والردّ في نقاش؛ لأنّه نشأ في العالم الافتراضيّ على الاستماع إلى نفسه فقط، وتجاوز (إلغاء وجود - إلغاء متابعة - إلغاء صداقة) كلّ ما يضايقه بكبسة واحدة والانتقال إلى غيره.

1 - Koutamanis, M., Vossen, H. & Valkenburg, P. (2015), Adolescents' comments in social media: Why do adolescents receive negative feedback and who is most at risk?. Computers in Human Behavior. 53 (2), 486 - 494.

2 - Gironda, J. (2013). Social Networking Sites and Planned Behavior. Academic Search Complete, Summer Educators› Conference Proceedings. 23(1), p387 - 388.

- تعطّل الدور الاجتماعيّ للفرد في العالم الواقعيّ نتيجة حالة اللامبالاة وبرود الانفعالات التي تصيب مستخدم الشبكات الاجتماعيّة، بسبب سرعة التقلّب بين المحفّزات التي تحفّز مشاعر متضاربة في فترة قصيرة: فرح - غضب - تردّد - إحباط - حماسة[1].

يؤدّي البقاء لفترات طويلة على موقع الفيسبوك إلى تعزيز القيم الفرديّة وتضخيم الذات وتفاقم أعراض «النرجسيّة»، مثل الغرور، والتعالي،

- بحسب دراسة، يؤدّي البقاء لفترات طويلة على موقع الفيسبوك إلى تعزيز القيم الفرديّة وتضخيم الذات وتفاقم أعراض «النرجسيّة»، مثل الغرور، والتعالي، والشعور بالتفوّق واضطراب الشخصيّة[2].
- أظهرت دراسة[3] أنّ استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ يعزّز نموّ السلوك العدوانيّ في الأطفال؛ إذ إنّ معظم مواد الفيديو تعتمد على انتصار البطل الخارق على الأشرار بضربهم وقتلهم.
- أظهرت دراسة[4] أنّ مواقع التواصل الاجتماعيّ تستجيب لرغبات الأطفال في الاكتشاف ومحاولة التجربة والتطبيق بتسهيل عرض مقاطع فيديو وصور «غير مرغوبة»، وبالتالي زيادة معدلات تعرّضهم إلى الإساءات الجنسيّة والإباحيّة والاستدراج الجنسّي.

1 - ندوة بعنوان: «خبراء الإعلام ينصحون بعدم الاندماج في العالم الافتراضي». بثّت بتاريخ: 18/3/2015 على قناة «الجزيرة مباشر».

2 - دراسة منشورة في الجارديان البريطانيّة بعنوان: «فيسبوك والشبكات الاجتماعيّة تؤدّي إلى النرجسيّة» - نقلًا عن موقع جريدة العين الأردنيّة عدد يناير/كانون ثان 2013.

3 - Abu Saileik, D. (2012). The Impact of Electronic Social Networks on the Attitudes of University Students In Jordan and the ir Role In the Development of The Balanced Personality. Unpublished Doctoral Dissertation, Graduate School. University of Jordan.

4 - Kaufman, Z., Braunschweig, E., Feeney, J. Dringus, S. & Weiss, H. (2014), Sexual Risk Behavior, Alcohol Use, and Social Media Use Among Secondary School Students in Informal Settlements in Cape Town and Port Elizabeth, South Africa. AIDS Behav. 4(18), 1661-1674.

- زيادة حالة الوسواس القهريّ؛ فقد خلص بحثٌ اجتماعي إلى أنّ: «الأشخاص الذين يفضّلون التواصل الافتراضيّ على نظيره الواقعيّ، يسجلون معدلات عالية في تشخيص اضطراب الوسواس القهريّ. ويرجع ذلك إلى أنّ الكثير من الأنشطة الجاذبة على مواقع التواصل الاجتماعّي، مثل المقاطع الإباحيّة والمقامرة وألعاب الفيديو والمسابقات، تلعب دورًا في تزايد نسب الإصابة بهذا الاضطراب، إضافة إلى شعورهم بالوحدة والقلق الاجتماعيّ.

- تدنّي حسّ المسؤوليّة والمصداقيّة الإعلاميّة؛ إذ إنّ تحوّل الفرد إلى صانع أخبار لمتابعيه على الشبكات الاجتماعيّة من دون رقيب ذاتيّ أو خارجيّ، يساهم في تنمية روح الإشاعة والفضائحيّة والتّرثرة وكشف الخصوصيّات.

الأشخاص الذين يفضّلون التواصل الافتراضيّ على نظيره الواقعيّ، يسجلون معدلات عالية في تشخيص اضطراب الوسواس القهريّ.

- كشفت دراسة[1] وجود تناسب طرديّ بين معدلات استخدام المراهقين وسائل التواصل الاجتماعيّ البصريّة (مثل: سناب شات - انستاغرام) والمخاوف من صورة الجسد والخوف من الأعراض التي تطرأ عليه (مثل: علامات البلوغ - زيادة الوزن - .. إلخ)، وأنّ الاستخدام الدائم لهذه التطبيقات قد ينتج عنه تزايد الاهتمام بصورة الجسد وتغيّراته لدى المراهق، ممّا قد يسهم بدوره في ضعف التكيُّف النفسيّ في هذه المرحلة من النمو.

- أظهرت دراسات[2] أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ تشكّل مصدرًا للخطر على العلاقات الاجتماعيّة، وتؤدي إلى تفكّك النسيج الاجتماعيّ،

1 –Marengo, D., Longobardi, C., Fabris, M. A., & Settanni, M. (2018). Highly visual social media and internalizing symptoms in adolescence: The mediating role of body image concerns. Computers in Human Behavior, 82, 63 – 69.

2 – عفاف محمّد زهو: الإفراط في استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعيّة: دراسة ميدانيّة مطبّقة على أمهات طالبات المرحلة المتوسطة في منطقة الباحة. مجلة كلية التربية، العدد (28)، 2017، ص 1 – 65.

وترتبط بسلوكيّات مضادّة للمجتمع، مثل: عدم الالتزام بالقوانين السائدة في المجتمع، وضعف الهويّة، وإهمال الواجبات الاجتماعيّة.

- يؤدّي الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ للأطفال إلى تقليص الاستقلال الفكريّ والثقافيّ للفرد المستخدم، واستلابه وإضعاف إنتاجه، والإغراق في التسلية وضعف الإبداع، والتحريض على الكراهية والعنف[1].

وسائل التواصل الاجتماعيّ تشكّل مصدرًا للخطر على العلاقات الاجتماعيّة، وتؤدي إلى تفكّك النسيج الاجتماعيّ

- يؤدّي كذلك إلى تشوّه الرؤية الذهنيّة للعالم للشباب، واختلال منظومة القيم، إشاعة سلوك اللامبالاة[2].
- بالرغم من أنّ استخدام البحث على الإنترنت يزيد من سرعة جمع المعلومات، لكنّه لا يهيِّئ مناطق الدماغ بنحو كافٍ لتخزين المعلومات على المدى الطويل، ممّا يسهّل نسيانها نتيجة تغيير كيفيّة عمل الدماغ ومعالجته للمعلومات، كما تظهر البيانات أنّ استخدام الإنترنت بدرجة كبيرة في مرحلة الطفولة تعمل على إعاقة عمليّات نضج الدماغ، وقد تُسهم في ضعف الذكاء اللفظيّ[3].
- أظهرت دراسة[4] أنّ استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ بلا حدود يؤدّي

1 – كليّة دبي لإدارة الحكوميّة. (2013) واقع الإعلام الاجتماعيّ في العالم العربيّ – عامان من الحراك الشعبيّ: تقرير الإعلام الاجتماعيّ العربيّ.

2 – صادق عباس الموسوي: التنشئة الاجتماعيّة والالتزام الدينيّ، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، 2017، ص 125.

3 – Dubicka, B., Martin, J., & Firth, J. (2019). Screen time, social media and developing brains: a cause for good or corrupting young minds?. Child and Adolescent Mental Health, 24(3), 203 – 204.

4 – Virden, A., Trujillo, A. & Predeger, E. (2014), Young Adult Females' Perceptions of High-Risk Social Media Behaviors: A Focus-Group Approach, Journal of Community Health Nursing, 31(3), 133 – 144.

إلى السهر الزائد، بسبب التشعُّب في مشاهدة المقاطع المصوّرة والكرتونيّة، الأمر الذي يؤدّي إلى الأرق والإرهاق، وضعف النمو الذهنيّ وضعف الإنجاز، وبالتالي تراجع المستوى التحصيليّ عمومًا.

- إنّ إقامة علاقات تفاعليّة مع أشخاص غير منظورين تؤثّر على ملكات الاتصال، مع ما يكتسبه الاتصال من طابع «التحرُّر» من كلّ الضوابط وكلّ ما هو لائِق اجتماعيًّا أو محرّم دينيًّا.

تتضاعف خطورة المشكلات السابقة عند استخدام الشبكات الاجتماعيّة عبر ملفّات شخصيّة مزيّفة، فتتشكّل عمليّة الاتصال في هذه الحالة من ثلاثة أطراف وهم: الشخص العاديّ، والهويَّة الافتراضيَّة والأشخاص الآخرين[1]. ومع كثرة التردّد في اليوم الواحد بين هويّته الحقيقيّة والافتراضيّة[2]، تتشكّل لديه ذوات متعدّدة فيما يشبه حالة انفصام الشخصيّة، جرّاء تقمُّص صِفات عدّة، والعيش لفترة طويلة بهويّة أو هويّات افتراضيّة عدّة[3].

نوقش في دراسة طبيّة[4]، مخاطر شبكات التواصل الاجتماعيّ على المراهقين من الناحية الصحيّة الإكلينيكيّة، واتّضح وجود آثار سلبيّة للشبكات الاجتماعيّة على أجسام المراهقين، عبر:

- الحرمان من النوم، إمّا نوم أقصر أو الاستيقاظ مبكرًا لصالح الاستمرار في الأنشطة الاجتماعيّة عبر الإنترنت.

- تشتّت الانتباه بسبب الشعور بالحاجة إلى التحقق من الإشعارات بنحو

1 – بايوسف مسعودة، الهويَّة الافتراضيَّة– الخصائص والأبعاد، مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، عدد خاص الملتقى الدوليّ الأوَّل حول الهويَّة والمجالَّات الاجتماعيَّة في ظلّ التحوّلات السوسيوثقافيَّة في المجتمع الجزائريّ، 2011.

2 – عبد القادر أحمد العبيد: فاعليّة مواقع التواصل الاجتماعيّ في توجيه الرأي العام، ص 109.

3 – تُعرَّف الهويّة الافتراضيّة Virtual Identity على أنَّها الشخصيَّة التي يُنشِئها المُستخدِم، أي الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعيّ والشخص الظاهريّ للمستخدمين. (موسوعة الويب webopedia)

4 – Serenkoa, Alexander, Turelb, Ofir & Bohonisc, Hafsa (2021) The impact of social networking sites use on health–related outcomes among UK adolescents, journal of Computers in Human Behavior Reports 3, 100 – 058.

دائم ومُلِحّ.

- المعاناة من صعوبة النوم بسبب كثرة التعرّض لإضاءة الشاشات.
- الهوس بظاهرة الأكل الصحيّ والحياة الصحيّة؛ إذ ينشر المؤثّرون على هذه المنصّات صور غير واقعيّة عن الأجساد المثاليّة والوجوه الجميلة، ما يؤثّر على رغبة المراهقين (خاصّة الفتيات) في تناول الطعام للوصول للجسد المثاليّ المعروض، ويدفعهنّ أحيانًا للتوقف عن تناول بعض الوجبات.
- زيادة مدّة قضاء الوقت داخل المنزل لمتابعة منصّات التواصل الذي يؤدّي إلى خطر الإصابة بالسمنة.

آليّات التلاعب النفسيّ

أحد التعريفات البسيطة والمُخلّة لمواقع التواصل الاجتماعيّ أنّها تشبه «مقهى في قرية صغيرة؛ حيث يجتمع الناس لتبادل المعلومات والأخبار، الفارق أنّك تستطيع حمل هذا المقهى في جيبك»[1]. وتُغفل هذه التعريفات البسيطة، للأسف، حقيقة وجود جهد وتخطيط وراء تصميم الخوارزميّات التي تشغّل هذه الشبكات، والتي تَستخدم أساليب الهندسة الاجتماعيّة؛ لتتعمّد إثارة الغرائز، ونقل أفكار أو مشاعر بعينها بمعدلات «عدوى» حسب طلب مَن يدير الخوارزميّة. فقد أظهرت دراسة منشورة على موقع «بي بي سي» بعنوان: «فيسبوك يتلاعب بمشاعر مستخدميه»[2]، أنّ الخوارزميّة تعرض على مستخدمين محدّدين حسب حالتهم المزاجيّة منشورات تساهم في توجيههم إلى حالة مزاجيّة معيّنة بطريقة لاإراديّة، ومن دون أدنى معرفة من المستخدم.

1 – علي محمّد بن فتح محمّد، رسالة ماجستير بعنوان: «مواقع التواصل الاجتماعيّ وآثارها الأخلاقيّة والقيميّة، قسم الدعوة والثقافة الإسلاميّة، جامعة أم القرى – السعودية، ص 189.

2 – موقع بي بي سي، فيسبوك يتلاعب بمشاعر مستخدميه في دراسة سريّة، 62-6-2014.

كما تُعدّ ظاهرة «خوف تفويت الفرص - OutFear of Missing»[1]- وتُعرف اختصارًا بـ FOMO - من أولى الظواهر النفسيّة التي أُثبِت ارتباطها بخوارزميّات الشبكات الاجتماعيّة، وهي شعور المستخدم بأنّه قد فوّت «شيئًا ما» مهمًّا نُشِر منذ آخر مرّة أغلق فيها الجهاز، ويتضاعف الشعور بالحاجة إلى تفقّد الجهاز بوجوده دائمًا في متناول المستخدم، فيضطرّ للعودة إلى جهازه كل عدّة دقائق، وعمل «تحديث – Refresh» لعلّ الخوارزميّة تفاجئه بشيء ما خفيف ومحبّب يُرضي فضوله، أو يثير غرائزه الأساسيّة (الغضب - السعادة - ..)، فتعطي دفعة من الهرمونات التي أدمن عليها، فيما يمكن أن نطلق عليه: «تعاطي الشبكات الاجتماعيّة».

تعاطي الشبكات الاجتماعيّة

تُعدّ الشبكات الاجتماعيّة بالنسبة إلى الأطفال والمراهقين، هي الحلّ الأسهل للتغلّب على أزمات الثقة بالنفس والخوف من عدم «القبول الاجتماعي»، إذ إنّ فرص «الصداقة» متوافرة أكثر من الواقع، وفي الوقت نفسه، فإنّ ميزات تحسين الصورة (الفلاتر) تضاعف شعوره بالقيمة والأهميّة، خاصّةً في عالم الفضاء الافتراضّي، حيث الشكل الجميل هو المعرّف والهويّة، وبالتالي المعيار الأهّم للقبول. فعندما يستخدم الشاب أو الفتاة فلاتر الوجه، ويبدو مثاليًّا جدًّا -على غرار ما يحصل في استخدام تطبيق Snapchat- فإنّ هذا المظهر الجميل يجذب له الكثير من إشارات الإعجاب والتعليقات الإيجابيّة؛ الأمر الذي يجعله يشعر بسعادة كبيرة، وبالتالي إدمان الحاجة إلى الوجود الدائم في هذه البيئة المريحة، ومن ثمّ الشعور بالتوتر وعدم الارتياح عند البقاء خارج الاتصال لفترة طويلة.

1 - Sebastian Ocklenberg, psycholoy today, Fomo and Social Media,13 - 6 - 2021.

يقول «جوناثان سافران فوير ـ Jonathan Safran Foer»[1] في مقالته «كيف لا تكون وحيدًا»: «إنّ كلّ خطوة إلى الأمام في وسائل التواصل الاجتماعيّ جعلت من السهل تجنّب الوجود العاطفي والاتصال الإنسانيّ في العالم الواقعي»، فبتنا نفضّل إرسال الرسائل النصيّة بدلًا من المحادثات الهاتفيّة، والدردشة عبر الإنترنت بدلًا من الاجتماع وجهًا لوجه، وقد استبدل الكثير منّا التفاعل البشريّ بمنصات ملائمة، مثل:Facebook وTwitter و Instagram، حيث توفّر وسائل التواصل الاجتماعّي للمستخدمين إمدادًا ثابتًا من المكافآت الاجتماعيّة مع كلّ اتصال اجتماعيّ، ويأتي ذلك على أشكال عدّة، منها:

تُعدّ الشبكات الاجتماعيّة هي الحلّ الأسهل للتغلّب على أزمات الثقة بالنفس والخوف من عدم «القبول الاجتماعي»

1 ـ تلقّي تعليقات إيجابيّة على شكل «إعجاب»، أو اتصالات اجتماعيّة في شكل طلب «صداقة»، حيث ثبت إكلينيكيًّا أنّ هذه الإشعارات البسيطة تنشّط نظام المكافأة في دماغنا[2]، وتجعلنا نعود إلى Facebook للمزيد. والسبب هو أنّ المكافآت الاجتماعيّة (الإعجابات) تعمل كشكلٍ من أشكال الدعم الاجتماعي أو الانتماء أو الاعتراف بالخبرة المشتركة، لذا فإنّها تشبه كثيرًا إشارة الدماغ إلى الموافقة أو الاستمتاع[3].

إنّ كلّ خطوة إلى الأمام في وسائل التواصل الاجتماعيّ جعلت من السهل تجنّب الوجود العاطفي والاتصال الإنسانيّ في العالم الواقعي

2 ـ قراءة مشاركات الآخرين أيضًا تؤدي إلى إثارة نشاط المكافأة؛ لأنّ تلقّي

1 – أستاذ الكتابة الإبداعيّة في جامعة نيويورك، وأستاذ مادة الإبداع في جامعة ييل.

2 – Fareri, D.S. and Delgado, M.R. (2014) Social rewards and social networks in the human brain. Neuroscientist 20, 387–402.

3 – Tang JH, Chen MC, Yang CY, Chung TY, Lee YA(2016) Personality traits, interpersonal relationships, online social support, and Facebook addiction. Tele–matics Inform 33(1):102–108.

المعلومات يثير دورة الفضول وإشباع الفضول التي بدورها تحفّز أيضًا نظام المكافأة في الدماغ[1].

3 - بعد أن يُرصَد ذوقه وتفضيلاته بواسطة «محرك التوصيات» -وهي خوارزميّة ترصد إبداءات الإعجاب وعدم الإعجاب لدى المستخدم استنادًا إلى نشاطه التاريخيّ على المنّصة- ستحاول ضمان بقاء المستخدم متّصلًا بالمنصة لأطول فترة ممكنة -أحيانًا ساعات- لمشاهدة فيديوهات بلا نهاية[2]، والتي تثير الانفعالات النفسيّة المختلفة المحفِّزة للدماغ، وفي الوقت نفسه، سينتهي الأمر أيضًا بمشاهدة العديد من إعلانات المنتجات والخدمات التي يرجِّح «محرّك التوصيات» أنّ هذا المستخدم سينفق أمواله عليها.

هذا الوابل المستمرّ من المكافآت يجعل عقل المستخدم في حالة طلب المزيد دائمًا من هرمون المكافأة (الدوبامين)، ما يؤدّي إلى إدمان وسائل التواصل الاجتماعيّ. تشير عمليّات «مسح الدماغ - Brain Scan» إلى أنّ أدمغة أصحاب الاستخدام الكثيف لوسائل التواصل الاجتماعيّ تبدو مشابهة جدًّا لأدمغة مدمني المخدرات أو القمار[3]، ما دعا باحثين إلى أن يطلقوا عليها وصف «المنشّطات الرقميّة المفرطة» نتيجة تصميم تطبيقات ومواقع الشبكات الاجتماعيّة على طريقة هندسة التفاعلات عبر المكافآت الافتراضيّة، حيث إنّ المزيد من المشاركة تعني المزيد من الربح الاجتماعيّ، حتى أنّ ميزة «السحب لأسفل - Scroll Down» لإنشاء دفق جديد من المعلومات في تطبيق Face-book صُمِّمت عن عمد، لتشبه سحب ذراع ماكينات القمار في الكازينو[4].

1 - Arnone, M.P. et al. (2011) Curiosity, interest and engagement in technology-pervasive learning environments: A new research agenda. Educ. Technol. Res. Dev. 59, 181-198.

2 - يُحمَّل ما يقدّر بسنوات عدّة من الفيديو كلّ ثانية على الشبكات الاجتماعيّة.

3 - Ophir E, Nass C, Wagner AD. Cognitive control in media multitaskers.

4 - Mark. Miller (2021). The warped self. Retrieved in 9 january 2022 from.

في دراسة تركيّة مشتركة بين وزارة الشؤون الداخليّة التابعة لـ«الاتّحاد الصحّيّ الشرقيّ الدوليّ (UDOSAF)» و«جمعيّة صحّة الموظّفين شرق الأناضول (DOSADER)»، تناولت عيّنة من 2309 طالب في مدارس مدينة «أرضروم» التركيّة، تتراوح أعمارهم بين 13 و18 عامًا، كشفت أنّ ثمّة علاقة ارتباط بين الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ وبين زيادة استهلاك الكحول والتدخين[1]، على ضوء هذه الدراسة عُقد مؤتمر جمع متخصّصين وخبراء نفسيّين خلصوا إلى نتيجة مفادها: «إنّ التدخين والكحول وإدمان الإنترنت كلّها عوامل تغذّي بعضها بعضًا»[2]، وفي دراسة أخرى للجانب الإكلينيكيّ، قارن علماء صينيّون بين أدمغة عدد من المراهقين ممّن شُخّصوا بـ«اضطراب إدمان الإنترنت» ومجموعة مماثلة من زملائهم الآخرين، فأظهرت النتائج تلف ألياف المادة البيضاء في الدماغ في المناطق المعنيّة بالمعالجة العاطفيّة والانتباه واتخاذ القرارات والسيطرة الإدراكيّة، وهي تشوّهات في مادّة الدماغ مماثلة لتلك الناتجة عن إدمان الخمر والكوكايين[3].

كما أن الاستخدام الإدمانيّ للشبكات الاجتماعيّة لا يقف عند مجرّد الاستخدام لفترات طويلة وصعوبة الانفصال، بل له آثار نفسيّة وسلوكيّة عميقة تتجذّر في الشخصيّة، مثل: ضعف القدرة على الصبر عمومًا، وعدم احتمال تأخّر العواقب، أو ما يُسمّى بالإشباع المتأخّر (Delayed Gratification)، فقد أشارت دراسة «ماريلين فلينسي ـ Maryline Flinsi»[4] إلى أنّ التحفيز العاطفيّ المستمرّ بسبب المشاهدة المفرطة للفيديوهات والصور تؤدّي إلى حدوث مشكلات

1 – راجع: دراسة تربط بين إدمان وسائل التواصل الاجتماعيّ وزيادة معدلات التدخين واستهلاك الكحول، تقرير على موقع «توداي زامان»، 2014.08.05م. –نقلًا عن: مركز الحرب الناعمة للدراسات: شبكات التواصل الاجتماعيّ: منصّات الحرب الأميركيّة الناعمة، ص 52 – 53.

2 – B.S. Honnekeri, A. Goel, M. Umate, N. Shah, A. De Sousa. Social anxiety and Internet socialization in Indian undergraduate students: An exploratory study.Asian Journal of Psychiatry, 27 (2017), pp. 115 – 120.

3 – دراسة بعنوان: «إدمان الانترنت يؤثر على الدماغ»، نشرت على موقع الجزيرة بتاريخ: 12/01/2012.

4 – مديرة قسم التعليم في مستشفى Indraprastha Apollo hospitals وباحثة في مجال تعليم الأطفال.

سلوكيّة عدّة لدى الأطفال، أهمّها: السلوك العدوانيّ، الأفكار العدوانيّة، تأجيج مشاعر الغضب، تقليل سلوكيات المبادرة والمساعدة وزيادة الخوف والغش والكذب والسرقة والصراخ، ما ينتهي بالنهاية إلى الفوضى وعدم القدرة على فهم الصواب من الخطأ[1].

يرى المختصّون أنّ أهمّ أعراض إدمان الفيسبوك ما يلي:

- عدم الشعور بالاكتفاء من الموقع وقضاء أوقات طويلة عليه، بغضّ النظر عن النشاط الذي يمارسه على الموقع.
- القلق والتفكير المفرط في الفيسبوك، وما يحدث فيه عندما يكون الشخص بعيدًا عن الكمبيوتر والإنترنت، وشعوره بالحزن والاكتئاب إذا بقي بعيدًا عنه لفترة من الزمن، والفشل المتكرّر لمحاولات التقليل من عدد الساعات التي يقضيها على الفيسبوك.
- تركيز التفكير حول الفيسبوك إلى حدّ الهوس والحديث مع الأصدقاء، ومن يلتقي بهم عن الفيسبوك، وعمّا يحدث من أحداث داخله عندما يكون الشخص بعيدًا من الإنترنت.
- إهمال جزئيّ أو كليّ للحياة الاجتماعيّة والالتزامات العائليّة والوظيفيّة.
- إهمال الهوايات المحبّبة والاهتمامات الأخرى، واللجوء إلى النوم العميق لفترات طويلة بعد التعب الشديد من تصفّح الفيسبوك.
- ضعف الأداء الاجتماعيّ وزيادة الانعزال الشعوري، ثمّ الجسديّ، عن الأهل، إذ تُبَيِّن دراسة[2] بأنَّ الجيل الحاليّ (Z_Generation)[3] لا يقضي سوى أوقاتٍ رمزيّة في التفاعل الاجتماعي داخل العالم الحقيقيّ. وقد أشار كثيرٌ من المستجوَبين

1 – Flinsi, Maryline (2018). Impact of Technology and Social Media on Children. International Journal of Pediatric Nursing. 4 (1). 68–77.

2 – كمال حميدو: الإعلام الاجتماعيّ وتحوّلات البيئة الاتّصاليّة العربيّة الجديدة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2018.

3 – حسب تقسيم في علم الاجتماع الجيل زد هم مواليد من 1995 إلى 2015.

في هذه الدراسة إلى ظاهرة سلبيَّة تتمثّل بـ«الحضور المغيّب في التجمّعات العائليَّة؛ حيث تحضر الأجساد في المكان نفسه، بينما تظلّ العقول والعيون منشغلة بالهواتف الذكيَّة للاطّلاع على الرسائل المرسلة أو للردّ عليها».

- التأثير على الانتباه وجودة النوم الذي يتأثر بنحو ملحوظ بمجرّد الضوء الأزرق للشاشات بخلاف العوامل الأخرى. وأثبتت دراسات[1] أنّ استخدام الطفل للأجهزة الذكيّة لفترات طويلة ينعكس على زيادة أعراض اضطراب فرط الحركة وتشتّت الانتباه ADHD والاقتراب من طيف التوحُّد Autism.
- تقصير «مدى التركيز ـ Attention Span» بسبب تعوّد الدماغ على تناول المعلومات حول موضوعات مختلفة في كبسولات معلوماتيّة مختصرة ومركّزة، فيفقده الطفل القدرة على التركيز لفترات طويلة في الموضوعات التي تحتاج إلى تفاصيل وتفريعات، وتتطلب وقتًا طويلًا للإحاطة بها، ما يؤثّر على التحصيل الدراسي أو عمق الثقافة والمعرفة لدى الطفل، وينتج عنه أيضًا ضعف القدرة على ربط الموضوعات ببعضها بعضًا، أو صعوبة الصياغة المرتّبة بطريقة متماسكة لمجموعة من الأفكار المتّصلة.
- التعرّض للمحتوى المحفّز لأفكار إيذاء الذات أو النظرة المشوّهة للحياة والناس والأهل.

وقائمة المخاطر تطول، لكنّ التهديد الأهمّ هو تأثير هذا كلّه على دين الطفل الذي يلازمه إلى الكِبَر، ويتحدّد عليه مصيره الأخرويّ، والتأثير ليس بالضرورة على المظاهر الدينيّة، لكنّ الأخطر التأثير على الرؤية الكونيّة للوجود، والغاية منه، والتأثير على العقائد والمعاني الإيمانيّة الكليّة، مثل: اليقين والرضا، والاستقامة، وحسّ المسؤوليّة، فضلًا عمّا قد يتعرّض له الطفل في حداثة سنّه من دعاية موجّهة لعقائد منحرفة، قد تسبق إلى وعيه قبل المدرسة والمسجد.

1 – Harvart health Publishing, can cellphone use cause ADHD? 31 – 07 – 2018.

حدّدت الدراسات أسبابًا أخرى لسهولة التلاعب النفسيّ وتأجيج المشاعر، وهو غياب الرقابة الذاتيّة أو المجتمعيّة، التي جعلت أشكال التعبير في العالم الافتراضيّ تنتهج طرقًا مختصرة، فبات كلّ شيء مسرّعًا وإلى أقصى الحدود، بدايةً من الجهر بمشاعر الودّ التي تحصل بجرأةٍ وسرعةٍ قياسيَّين، وصولًا إلى مشاعر الغضب، أو الحقد، أو الكراهيَّة، التي يُعبَّر عنها بفظاظة أكبر أيضًا. هذا ما يفسّر سرعة تشكّل الروابط الاجتماعيّة وسرعة تفكّكها في العالم الافتراضيّ، أو كما وصف «جوليان ريفيت Julien rivet»[1] الاندفاع والتلقائيَّة في العالم الافتراضيّ بقوله: «الإنترنت يعمل وكأنّه محفّز لانفعالاتنا، بل مسرّع للجزيئيّات العاطفيَّة، فبينما كنَّا متعوِّدين على سلوكيَّات اجتماعيَّة غير مفرّط بها، ها هو الإنترنت يرغم طبيعتنا وحيويّتنا على التغيُّر وبطريقة جدًّا سريعة»[2]، والأخطر، حسب الدراسة[3]، فإنّ الإناث يتأثّرن أكثر بالشبكات الاجتماعيّة، ويتعلّقن بها أكثر من نظرائهنّ من الذكور.

ثقافة الاستهلاك والشراهة

طبيبة الأمراض العصبية «سوزان غرنفيلد Susan Greenfield»[4] في كتابها «تُغير العقل، كيف تترك التقنيّات الرقميّة بصماتها على أدمغتنا؟»، تقول: «خلف الشاشة الجميع مثاليّون، يختارون ما يقولون بدقة، ويقولونه بطلاقة، وقد يختارون اسمًا مستعارًا، أو صورة وجه جميل وجسم رياضي، لذلك هم يخافون من الاتصال في العالم

خلف الشاشة الجميع مثاليّون، يختارون ما يقولون بدقة، ويقولونه بطلاقة، وقد يختارون اسمًا مستعارًا، أو صورة وجه جميل وجسم رياضي، لذلك هم يخافون من الاتصال في العالم الحقيقيّ، ويغرقون أكثر في عالم العزلة

1 – أستاذ القانون العام في جامعة أنجي بفرنسا.

2 – Rivet, Julien, «Psychologie du clash sur Internet: y a–t–il un surmoi numérique à l'heure du web social», slate.fr,10 juillet 2009, (Visited on 7July 2017).

3 – رولا الحمصي، «إدمان الإنترنت وعلاقته بمهارات التواصل الاجتماعيّ»، دراسة ميدانيّة في 2010 على عيّنة من طلاب جامعة دمشق في رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا.

4 – متخصّصة في مجال الأمراض العصبيّة وعضو مجلس اللوردات البريطانيّ.

الحقيقيّ، ويغرقون أكثر في عالم العزلة»[1]. ونتيجة المقارنة الواعية أو غير الواعية بين حياته في الواقع وبين حياة المؤثّرين أو زملائه الآخرين وما يراه من زينة وأموال وشهرة وتفاعلات وكثير من اللقطات ومقاطع الفيديو التي هي في أغلب الأحوال مصطنعة أو انتقائيّة، ينتج عنه:

- حالة هوس بفكرة الحياة الماديّة المثاليّة المريحة.
- الهوس بصورة الجسم الجميل والمثاليّ.
- الهوس بالعلاقات بين الجنسين.
- اهتزاز الشخصيّة والشعور بالدونيّة والنقص.

ينتج عن هذه المقارنات الاجتماعيّة السلبيّة أن ينظر النشء إلى أنفسهم بطريقة أكثر سلبيّة مقارنةً بالأشخاص الآخرين[2]، ما يعرّضهم إلى القلق الاجتماعيّ، ويشكّل عاملًا إضافيًّا لزيادة الشعور بالعزلة الاجتماعيّة والوحدة والاكتئاب، الوضع الذي يعزّز لديهم «ثقافة الاستهلاك والشراهة» حسب دراسة[3]؛ إذ تُظهر أنّ 90% من الجيل Z يقولون إنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ تجبرهم على مقارنة ثرواتهم أو أسلوب حياتهم بأقرانهم، ما يجعل 60% منهم يعبّرون عن عدم اكتفائهم بما يملكون بسبب ما يرونه في صفحات التواصل الاجتماعيّ. ولذلك اعترف 57% منهم أنّهم بسبب هذه المقارنات وقعوا في فخّ إنفاق أموال لم يخطّطوا لإنفاقها، هذا عدا عن ميلهم إلى التفاخر بتجاربهم وممتلكاتهم على تلك المنصّات كطريقة للمواكبة العصريّة.

يقول 90% من الجيل Z أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ تجبرهم على مقارنة ثرواتهم أو أسلوب حياتهم بأقرانهم.

1 – سوزان غرينفيلد، تغيّر العقل، كيف تترك التقنيّات الرقميّة بصماتها على أدمغتنا، مجلة عالم المعرفة 2017، ص 124.

2 – M.M. Antony, K. Rowa, A. Liss, S.R. Swallow, R.P. Swinson. Social comparison processes in social phobia. Behavior Therapy, 36 (2005), pp. 65 – 75.

3 – نون علوان، طبقة الأثرياء الجدد، مظاهر خدّاعة عزّزتها منصّات التواصل الاجتماعيّ، «نون بوست»، 20 – 12 – 2018 م.

يقول أستاذ علم الاجتماع «رشيد جرموني»[1]: إنّ أهمّ ما ميَّز الثورة المعلوماتيّة الجديدة هو الصعود القويّ لمجتمع «الفُرجة والتلذُّذ» وطلب النجوميّة، بالتالي جلبت شبكات التواصل الاجتماعيّ الجديدة إلى العالم العربي ما يصفه المفكر «عبد الإله بلقزيز» بـ«إغراق بالشعور بالإلحاح وحاجة المجتمع إلى إشباع رغباته... الذي بدوره سيقتل الروح ويسلب المحتوى الأخلاقيّ والإنسانيّ في سلوك الناس... وسيؤدي ذلك إلى إصابة الفرد بمتلازمة نقص المناعة الأخلاقية»[2]، ما يؤدي ليس إلى تعزيز النزعة الاستهلاكيّة فقط، بل وسلب القيم الأخلاقيّة والروحيّة، يؤدي إلى بساطة وتسطيح الذهن، ويؤكّد على ذلك «جين بودريلار ـ Jean Baudrillard»[3] بقوله: «لقد وصلنا إلى نقطة يحيط فيها الاستهلاك بكل شيء، حيث تتسلّل كل النشاطات إلى حياتنا طبقًا لنمط واحد يرسم لوحة الحاجة إلى الإشباع بإلحاح، فأصبح الاستهلاك طقسًا»[4].

ثقافة الصورة وتسطيح الذهن

يؤكد «نيكولاس كار ـ Nicholas G. Carr»[5] في كتابه «التسطيح: ماذا يفعل الإنترنت بأدمغتنا؟»: «إنّ الرسائل والنصوص القصيرة تؤثّر في التوصيليّة واللدونة العصبيّة في المخ، ما يؤدي إلى فقدان القدرة على التركيز على مهام

1 – باحث مغربيّ، حاصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة محمّد الخامس، الرباط، يعمل أستاذًا في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب.

2 – عبد الإله بلقزيز، العولمة والهويّة الثقافيّة: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ العرب والعولمة (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2010)، ص 309–319. (بتصرّف قليل).

3 – فيلسوف وعالم اجتماع فرنسيّ، ومتخصّص في حقل الدراسات الثقافيّة ودراسات تقنيّات التواصل.

4 – جان بودريار، المجتمع الاستهلاكيّ، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص5. (مع تصرّف قليل).

5 – عضو في مجلس مستشاري تحرير الموسوعة البريطانيّة. انتخبته مجلّة «أوبتيمايز» واحدًا من بين قادة الفكر في عالم تكنولوجيا المعلومات في العام 2005. أما في العام 2007، فقد انتخبته مجلّة «إي ويك» بين المائة شخصيّة الأكثر تأثيرًا في مجال تكنولوجيا المعلومات، مدير التحرير السابق لمجلّة «هارفرد بيزنس ريفيو» يكتب ويحاضر عن التكنولوجيا والأعمال والثقافة.

طويلة الأمد؛ ككتابة المقالات أو قراءة الكتب»[1]. فثقافة الصورة على شبكات التواصل الاجتماعيّ المصوّرة، مثل:Snap Chat، أو Instagram، أو Facebook Reels، ثقافة بطبيعتها ترفض التأمّل والحسّ النقدي؛ فهي ثقافة نتلقّاها كما نستوعبها دون أن نشكّل ردّ فعل لها، ويرجع ذلك لظروف عدّة، منها أنّها سريعة التتابع، ومن ثَمّ فالمتابعة تحتاج إلى يقظة الحواس دون إيقاظ قدرات العقل التحليليّ، ما يجبر العقل أن يعتاد نمط التعاطي مع المعلومات كما هي من دون مسحة نقد. فالصورة ـفي الغالبـ تخاطب الحواس –وأحيانًاـ الغرائز، وتشكّل رواسب لا إراديّة في وعي الإنسان، فيصبح التأمّل جهدًا شاقًّا. وعلى هذا النحو، تقوم «الصورة» والاستغراق في المحسوسات بقتل العقل الإنسانيّ وتحويل الذهن إلى ذهنٍ مفعول به ومسطّح[2].

نجد في المنشورات النصيّة على الشبكات الاجتماعيّة التي تسمح بكتابة نصوص طويلة، أثبتت دراسات أنّ التركيز الذهنيّ على النصوص الالكترونيّة في صفحات الفيسبوك ـمثلاًـ لا يتجاوز نسبة 25% من التركيز في نصوص صفحات الورق الاعتياديّ والكتب، ما سيشَكِّل في ما بعد فقدانًا للمعلومات التي اكتسبتها «الذاكرة السريعة ـ Short Memory»، فضلًا عن أنّه يكل المعلومات على الفيسبوك عبارة عن دفقات مشتّتة ومشوّشة لمنشورات تتناول موضوعات مختلفة ومتباينة، وتتكون في الغالب من آراء شخصيّة وغير متخصّصة، فتارة تجد منشور عن موضوع سياسيّ، ثم بعد لحظة تواصل القراءة في منشور رياضي ثم اجتماعي؛ ما يفقد الإنسان مهارته وقدرته على التفكير والتحليل، وهذا ما أكّدته الدراسة التي نُشرت في مجلة «the Journal of the Royal Society». وجاء فيها: «بالرغم من أنّ كثافة المعلومات التي يحصل عليها مستخدمو الشبكات الاجتماعيّة قد يعطي تصوّرًا أنّها ترفع من معدّل الذكاء، ولكنّ الحقيقة أنّ النتيجة سطحيّة جدًا»[3].

1 – شبكات التواصل الاجتماعيّ... تهديد لوعينا وتلاعب بعقولنا، حسين عمارة، شبكة «France 24»، بتاريخ 13/4/2016.

2 – علي ليلة، اختراق الثقافة وتبديد الهويّة، ص 158.

3 – دراسة تحت عنوان: «الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعيّ يضعف الذكاء»، مصدرها صحيفة DailyMail، منشورة على موقع قناة روسيا اليوم بتاريخ 5/2/2014.

القدوات الاجتماعيّة

هناك أسباب أخرى تسبّب اختفاء و«عدم شياع – Trending» المعلومات والنصوص المعمّقة وذات الطابع التحليليّ على الشبكات الاجتماعيّة، وهي تفضيل الخوارزميّات عدم إعادة طرحها على «الخط الزمنيّ ـ Time Line»؛ لأنّ المعرفة المعمّقة لن تكون بخفّة معلومات «علوم العموم ـ Pop_Science» نفسها التي لا تستهلك طاقة الذهن، الذي يقاوم بذل الجهد في التحليل ويجنح إلى استعراض منشورات أُخرى تتسم بالخفّة والمباشرة، ما يؤدي إلى قلّة تعبير «الأكثريّة» عن الإعجاب بالمنشورات النصيّة الطويلة أو العميقة، الذي يساهم أكثر في غيابها؛ لأنّ خوارزميّات الشبكات الاجتماعيّة مصمَّمة لترويج المحتوى بناء على الأكثريّة العدديّة لا النوعيّة.

لا يقتصر الاقتداء الاجتماعيّ بالأكثريّة على المجالات السياسية والثقافيّة، بل يتعدّاه إلى الممارسات اليوميّة من أنماط الطعام والملبس. فحسب إحصاءات، يلجأ أكثر من 86% من المستخدمين الناشطين على الإنترنت إلى مواقع التواصل الاجتماعيّ للحصول على الأنباء والمعلومات والمشورة حول المسائل التسويقيّة والتجاريّة المختلفة التي تخصّهم[1]، وغالبًا ما يكون مصدر المعلومات من واحد أو مجموعة ممّن يسمّون بـ«البلوجرز – المدوّنون»[2]، وهم مجموعة من الناشطين الافتراضيّين يعملون كأدوات في أكثر استراتيجيّات التسويق اِسْتِخْدَامًا في عصرنا الحديث، وهي استراتيجيّة: القدوة، المثال –Idol؛ المعبّر عن الشعبيّة وقبول الأكثريّة، ومن غير المعروف بطريقة علميّة كيف يعلو سهم مدوّن دون آخر على الشبكات الاجتماعيّة، ولا كيف يتّخذ مدوّن دون آخر «رتبة اجتماعيّة ـ Edge Rank» عالية، إلّا أنّ هناك مجموعة من السمات المشتركة في هذه الفئة المؤثّرة، أبرزها الاتّسام بالتفاهة والسطحيّة، ما يؤدّي بالضرورة إلى انتشار هذه الأنماط من التفكير، إضافة إلى الأسباب

1 – رشا أبو زكي، مواقع التواصل الاجتماعيّ.. خطر على الشركات، جريدة الأخبار، العدد 1799، 2012.09.04م.

2 – الشيماء أبو الخير، ظاهرة البلوجر، موقع صدى البلد، 14–12–2022م.

المتعلّقة بطبيعة الترجيح «الأكثري» للمحتوى، والتي سبق استعراضها، والتي تؤدّي إلى تضييق قدرات ذهن المتلقّي. وبالتدريج يصبح عقل الشباب قابلًا بكلّ سهولة لأن تنطلي عليه منشورات إعلامية «مُضلِّلة عن عمد»، تنطوي على «بيانات خاطئة عن قصد أو عمد»، والتي تُصاغ عن سابق إصرار في «نية الخداع»[1]. مثل ما أثبتت دراسات ضمن ما صار يعرف بـ«صناعة الجهل Ag-- notology»[2].

صناعة الجهل وترويج الشائعات

إنّ امتلاك كلّ مستخدم أدوات إعادة النشر والتداول عبر شبكة لا نهائيّة، تمنح فرصًا للانتشار المتحرّر من قيود الإعلام التقليديّ، مثل: تحمُّل التبعات القانونيّة والأدبيّة، باتت وسائل التواصل الاجتماعيّ تؤدي وظيفة «مكبّرات الشائعات» في ظلّ افتقاد معظم المستخدمين مهارات التدقيق والتحقّق، مع دافعيّة كبيرة تتمثّل في الرغبة في الذيوع والانتشار.

كما ولم تعد الشائعات في صورة الأخبار الكاذبة هي المحتوى الوحيد المضلِّل على الشبكة، وإنّما تنوّعت أساليب التزييف والتضليل في بيئة الشبكات الاجتماعيّة بنحو يتناسب مع مستوى التعقيد في آليّة عملها، وحدّدت «كلير واردل Claire Wardle»[3]، الباحثة في مشروع «فيرست درافت First Draft» لمكافحة الأخبار الزائفة حول العالم، أساليب التضليل الجديدة على الشبكات الاجتماعية بأمثلة:

- التشويش الدلاليّ.
- عدم وضع المعلومات في سياقها الصحيح.
- استخدام مصطلحات مؤدلجة، وهو الأمر المُتاح بكلّ سهولة لدى خوارزميّات

1 – Axel Gelfert, “Fake News: A Definition,” Informal Logic 38, no.1, (2018): 96.

2 – للمزيد راجع: نعمات أحمد فؤاد: صناعة الجهل: كتاب في السياسة.

3 – دكتوراه في مجال الاتصالات، ومديرة مركز الأبحاث في مركز تاو للصحافة الرقميّة في كليّة الدراسات العليا للصحافة في جامعة كولومبيا، أستاذة في كليّة براون للصحة العامّة.

شبكات التواصل، فيمكن أن تزيد «معدّل الوصول – Reach» لمنشورات تحمل ألفاظ محدّدة تؤيّد وجهة نظر سياسيّة أو اجتماعيّة محدّدة. (مثلًا: ترويج منشورات تستخدم مصطلحات: «مثلية جنسية» - «مليشيا» وفي المقابل: تحديد وصول منشورات تستخدم مصطلحات: «مقاومة» - «فلسطين» - «استشهاد» - «شذوذ جنسي» - .. إلخ).

تحجب الخوارزميّات منشورات أخرى وبنمط الانتقاء المؤدلج نفسه، بذرائع منها :

- حذف أحداث وحقائق علميّة من مواقع، مثل يوتيوب وعدم أرشفتها، وعدم نشر المعلومات تحت دعاوى أنّها تحرّض على العنف، أو مزيّفة، أو تنتهك حقوق الملكيّة .. إلخ.
- حذف أو تقليل التفاعل.
- تعزيز وصول صور ومنشورات عن أحداث تدعم أيديولوجيّات بعينها.

يعدُّ تأثير الشبكات الاجتماعيّة على العلاقات داخل الأسر من أهمّ وأخطر الآثار السلبيّة التي تعيق عمليّة التنشئة الصحيّة،

الشبكات الاجتماعيّة والتفكّك الأسريّ

يعدُّ تأثير الشبكات الاجتماعيّة على العلاقات داخل الأسر من أهمّ وأخطر الآثار السلبيّة التي تعيق عمليّة التنشئة الصحيّة، حيث يتعرّض الأفراد كبارًا أو صغارًا، لخطر العزلة عن مجتمعهم، بسبب قضائهم أغلب أوقات فراغهم داخل غرفهم بمفردهم، بدلًا من قضائها مع المجتمع الخارجيّ أو البيئة الأسريّة. وخلصت دراسات[1] إلى أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ تساهم في التفكّك الأُسريّ عبر تقليل اهتمام الزوجين بالأبناء، وتحُدُّ من المشاركة في المناسبات الاجتماعيّة، مُحدِثةً ما يسمى بـ«الاغتراب الأسريّ»، الذي يؤدّي

1 – عاطف محمّد النجار، مخاطر وسائل التواصل الاجتماعيّ على الأسرة، وتصوّر مقترح للممارسة العامّة للخدمة الاجتماعيّة للتخفيف عنها. مجلة الخدمة الاجتماعيّة، 8 (60)، 2018، ص 51 – 82.& لويزة حسروميا وفطيمة دريد، جودة العلاقات الوالديّة مع الأبناء في ظلّ تأثيرات مواقع التواصل الاجتماعيّ: موقع يوتيوب نموذجًا: دراسة ميدانيّة في مدينة باتنة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع (33)، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر، 2018، ص 115 – 128.

إلى انخفاض مستوى كفاءة التفاعل الأسريّ لدى الآباء والأبناء على السواء، ويقلّل من الانتماء والعاطفة والألفة الأسريّة، كما يساهم في خفض المستوى التحصيليّ لدى الأبناء وتعرّضهم للإخفاق التعليميّ، ويزيد من قيمة النزعة الاستهلاكيّة والعنف الأسريّ، ويؤدّي إلى وجود خلل وظيفي مزمن داخل نسق الأسرة، الذي بدوره يفسّر سهولة «الغزو الثقافي» عبر هذه الوسائل، بسبب بحث الأبناء في مواقع التواصل الاجتماعيّ عمّا يعوّضهم عن العلاقات المباشرة، كما تؤدّي -حسب الدراسة- إلى تفاقم قلّة اللقاءات الوالديّة بسبب لجوء الأبناء للكذب من أجل استخدام أكبر مدة ممكنة على مواقع التواصل الاجتماعيّ.

وتسهّل خوارزميّات الفيسبوك التفكّك الأسري عبر خطوات هي:

1. الترويج لجهات الاتصال الاجتماعيّة خارج الأسرة، ما ينقل الأفراد من العالم الداخليّ إلى العالم الخارجيّ.
2. المحافظة على المستخدم أطول فترة ممكنة متصلًا بالتطبيق الإلكترونيّ.

أثبتت دراسات إحصائيّة وجود عامل ارتباط قويّ بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ في المنزل وإعاقة الروابط العائليّة ووجود نزاعات.

لذلك أثبتت دراسات إحصائيّة وجود عامل ارتباط قويّ بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ في المنزل وإعاقة الروابط العائليّة ووجود نزاعات، وأثبتت الدراسة كذلك وجود علاقة عكسيّة بين الاتصال الاجتماعيّ مع تطور الإنترنت، وبالتالي زيادة الشعور بالعزلة ومعدلات الاكتئاب[1]. وحسب دراسات في علم الاجتماع[2]، يمكن تقسيم الآثار الاجتماعيّة السلبيّة لشبكات التواصل الاجتماعّي إلى ثلاث فئات رئيسة:

- **الأولى:** تعزّز وسائل التواصل الاجتماعيّ إحساسًا زائفًا بـ«الروابط» عبر

1 - Cubillas, Pilarl báñez- Díaz, Cristina -Martín Ana BelenPérez-Torregrosa, (2017) Social Networks and Childhood. New Agents of Socialization, Journal of Procedia - Social and Behavioral Sciencesm, 237, P 64 - 69.

2 - Jacob, Amedie, (2015) The Impact of Social Media on Society, Santa Clara University.

الإنترنت، ثّم سرعان ما تؤدّي الصداقات السطحيّة إلى مشكلات عاطفيّة ونفسيّة.

- **الثانية:** الانسحاب من المحيط الاجتماعيّ بمستوياته، بسبب سهولة إدمان الاتصال بوسائل التواصل الاجتماعيّ.
- **الثالثة:** «السلوك المعادي للمجتمع ـAnti_Social Behaviorـ» بسبب ضعف مهارات التعامل مع الآخرين، الناتج عن القصور في النمو اللغويّ والأكاديميّ والإبداعيّ.

بعد أن أصبحت وسائل التواصل الاجتماعيّ قناة تنفيس عن المشكلات الحياتيّة بعيدًا عن الأسرة، فعندما تُنشَر مشكلة ما عبر الإنترنت، ويتلقى عليها تعليقات إيجابيّة أو سلبيّة، سيؤدي ـحسب دراسةـ إلى تطوير هوسه بشأن المشكلة المنشورة، ما يؤدّي بناشر المشكلة ـفي المعتادـ إلى مزيد من الاكتئاب والقلق[1]، فضلًا عن أنّ مشاركة الخصوصيّات الشخصيّة مع الغرباء على الإنترنت يزيد من فرص التعرّض لمخاطر، حتى لو حُذِف المنشور المتعلّق بالشكوى/المشكلة، فقد أظهرت دراسة[2] أنّ المراهقين الذين يستخدمون الشبكات الاجتماعيّة للحديث عن الأمور الحياتيّة الخاصّة يتعرّضون لمجموعة من المخاطر بنسب أعلى بكثير من أقرانهم ممّن لا يستخدمونها، مثل:

- 46% أكثر عرضة بنسبة لتلقّي رسائل جنسيّة.
- 56% أكثر عرضة لمحتوى سلبيّ من إنشاء المستخدمين (التحقير والإهانات الشخصيّة).

1 – Chung, ChunLai – Tai, Pui (2021) Types of social media activities and Hong Kong South and Southeast Asians Youth's Chinese language learning motivation, Journal of System, 97, 102 – 432.

2 – Cubillas, Pilarl báñez– Díaz, Cristina –Martín Ana BelenPérez–Torregrosa, (2017) Social Networks and Childhood. New Agents of Socialization, Journal of Procedia – Social and Behavioral Sciencesm, 237, P 64 – 69.

- 114% أكثر عرضة للتنمّر على الإنترنت (العنصريّة الدينيّة أو العرقيّة).
- 163% أكثر احتماليّة لمقابلة أشخاص خارج الإنترنت لم يكونوا قد التقوا من قبل.

التنشئة في عالم الشبكات الاجتماعيّة

حتى العقد الماضي، كانت وسائل التنشئة الاجتماعيّة الأساسية هي الأسر الكبيرة (الممتّدة لأجيال عدّة)، ثم الأقارب والعشيرة والجيران، ثمّ جماعات الأقران والألعاب الجماعيّة، ثمّ منظومة العادات والتقاليد بما تتضمنه من أمثال وحكايات شعبيّة وعادات ومناسبات عامّة وأعياد ومآتم، ثمّ المساجد والمجمّعات الدينيّة والحسينيّات وكتاتيب تحفيظ القرآن، وحسب «تالكوت بارسونز -Talcott Parsons»[1]، كانت التنشئة الاجتماعية «عَبْر التلقين والمحاكاة والتوحّد مع الأنماط العقليّة والعاطفيّة والأخلاقيّة عند الراشد والطفل، والتي تهدف إلى دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصيّة، كما تتسم بأنّها عمليّة مستمرّة لا نهاية لها»[2]. وحسب «بارسونز»، تمرّ التنشئة بمرحلتين[3]:

- التنشئة الأوليّة: يصل فيها التعلّم الثقافيّ أقصى درجات التأثير، يتعلّم فيها النشء اللغة وأنماط السلوك التي تشكل الأساس لمراحل التعلّم اللاحقة، وتَكون الأسرة هي الفاعل المؤثّر في هذه المرحلة.
- التنشئة الثانويّة: تشارك فيها مؤسّسات فاعلة أخرى؛ كالمدرسة والمسجد وجماعات الأقران والمؤسّسات الإعلاميّة، وليس انتهاءً بأماكن العمل.

تعمل هذه المؤسّسات الاجتماعيّة على تعليم الفرد منظومة القيم والمعايير

1 - أستاذ علم الاجتماع في جامعة هارفارد.

2 - Via. L. Lazarbal (2013) El desarrollo afectivo en niños/as de 06- años, Revista arista digital, 38 (2013), pp. 92 - 98.

3 - Via. Giddens, Anthony (2006) sociology, Polity Press, Cambridge, England.

والمعتقدات التي تشكّل الأنماط الأساسّية في ثقافته، كما تُلقّن هذه المؤسّسات الفرد أدواره الاجتماعيّة عبر عمليّات: الاكتشاف والربط والقبول، وفقًا لنظريّات «التعلُّم الاجتماعيّ»، فيتفاعل الفرد مع بيئته لاكتساب العادات والأعراف والقيم التي يتطلّبها العيش في المجتمع.

استُحدثت مع بروز شبكات التواصل الاجتماعيّ، علاقة جديدة تقع في قلب عمليّة التنشئة الاجتماعيّة، فلم يعد يستكشف الفرد نفسه عبر وكلاء التنشئة الاجتماعيّة المعروفين، بل أصبحت منصّات التواصل الاجتماعيّة وكيلًا أساسًا وأقوى تأثيرًا في عملية «التنشئة الاجتماعية»[1] عبر:

- بناء علاقات الأفراد مع الجماعات المعروفة أو المتخيّلة.
- عملها كقنوات مؤثّرة في مشاركة المحتوى ونقل العواطف وصناعة الآراء ونشرها.
- القدرة على إنشاء مجتمعات افتراضيّة بسرعة هائلة، وبحيث تكون ذات أهميّة للمستخدمين.
- اكتساب معرفة مؤثّرة، واكتساب أشكال جديدة من السلوك عبر التفاعل، وبسبب التقدّم التكنولوجيّ تجاوزت الأساليب التقليديّة للتنشئة الاجتماعيّة في تشكيل منظومة القيم الإنسانيّة للأطفال والشباب[2].

1 – أنور الرواس، وعبيد الشقصي، وعماد صالح، وعبد الوهاب الحايس، أثر وسائل الإعلام الجديدة على التنشئة الاجتماعيّة – دراسة ميدانيّة على عينة من طلاب المدارس في سلطنة عمان (مايو/أيار 2015) (تقرير نهائي صادر من جامعة السلطان قابوس)،

2 – يعد «دوركايم – Durkheim» أول من استخدم مفهوم التنشئة الاجتماعيّة بمعناه التربويّ، حيث يقول: إنّ «الإنسان الذي تريد التربية أن تحقّقه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع، فالتنشئة بذلك هي العملية التي يكون فيها بواسطتها دمج ثقافة المجتمع في الفرد ودمج الفرد في ثقافة المجتمع، وهي كذلك إزاحة الجانب البيولوجيّ في الإنسان لصالح الجانب الاجتماعيّ، أو انتقال الإنسان من حالته البيولوجيّة إلى حالته الاجتماعيّة، وبذلك تُعرف التنشئة الاجتماعيّة بأنّها منظومة العمليّات التي يعتمدها المجتمع في نقل ثقافته بما تنطوي عليه من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد إلى أفراده». انظر: علي وطفة: التنشئة الاجتماعيّة ودورها في بناء الهوية عند الأطفال، مجلة الطفولة العربية، العدد (8)، ص 93 – 94، 2001.

- إمكانيّة إنشاء محتوى متعدّد الوسائط بكلّ سهولة، وفي الوقت نفسه ممتلئ بالتعبيرات الخاصّة، ومحمّل بمجموعة واسعة من المشاعر والآراء، ويتحدّى اللغة والقواعد الرسميّة القياسيّة.
- سهولة إعادة استخدام وإعادة نشر المحتوى الذي أنشأه أشخاص أو جهات أخرى[1].

ما يشكّل تداخلًا بين الفعل الخارجيّ لمؤسّسات التنشئة الاجتماعيَّة التقليديّة والفعل الداخليّ للشبكات الاجتماعيّة، ما يُقوّض أهداف التنشئة الاجتماعيّة من أساسها[2]، لتكون الغلبة في هذا الصراع الداخليّ من نصيب الوسيلة الأكثر إلحاحًا وحضورًا ضمن ما يُعرف بمفهوم «الغرس الثقافيّ».

التشكُّل الاجتماعيّ والغرس الثقافيّ

تنشأ ظاهرة التعلُّم عن طريق الملاحظة أو التعلُّم الاجتماعيّ عبر اتصال المتلقّي بالآخرين، ومن الأمثلة على «نظرية التشكُّل أو التعلُّم الاجتماعيّ» ما قام به عالِما الاجتماع «بندورا وروز ـ Bandora and Rose» اللذان أجرَيا تجربة على مجموعة من الأطفال لمشاهدة أفلام قصيرة، تصوّر شخصًا يتصرّف بعنف تجاه دمية من المطّاط، وعندما نَقَل الباحثان الأطفال إلى غرفة أخرى تتوافر فيها دمى مشابهة، بدأ الأطفال يتصرّفون معها بالعنف والعدوانية نفسهما[3]، ما حدث بحسب تعبير «مارتن هوفمان ـ Martin Hoffman»[4]: «إن الأطفال عندما يقفون أمام أجهزة الإعلام، فإنّهم كقطعة الاسفنج التي تمتصّ ما

1 – Christine W. Trültzsch-Wijnen (2020) The Significance of Media for Processes of Socialization, journal of Media Literacy and the Effect of Socialization pp 11- 59

2 – كمال حميدو، الإعلام الاجتماعيّ وتحوّلات البيئة الاتّصاليَّة العربيَّة الجديدة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2018.

3 – عواطف محمّد خضرة، التوجيه والإرشاد التربويّ المعاصر، عمّان: الأكاديميّون للنشر والتوزيع، 2013، ص 134.

4 – عالم نفس أميركي وأستاذ علم النفس الاجتماعيّ في جامعة نيويورك ومتخصّص في دراسات التطور الأخلاقيّ والعاطفيّ.

تتعرّض له، وتؤثّر وسائل الإعلام على تكوينهم بقيم وثقافات مجتمعات مغايرة، مثل غيرها من مؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة ...»[1]. فالفرد على الإنترنت لا يكون مشربه المعرفيّ والاجتماعّي والثقافيّ هو مجتمع الانتماء الحقيقّي الذي يحتضنه، بقدر ما يكون الجماعة الافتراضيَّة التي يتأثّر بها عبر مختلف أشكال الزخم الفكريّ والأيديولوجيّ المتداول في منصّات التواصل المختلفة بالمرجعيّات الأيديولوجيّة المختلفة وبلغات وثقافات العالم المختلفة.

الأطفال عندما يقفون أمام أجهزة الإعلام، فإنّهم كقطعة الاسفنج التي تمتصّ ما تتعرّض له، وتؤثّر وسائل الإعلام على تكوينهم بقيم وثقافات مجتمعات مغايرة.

كما قدّمت نظريّة «التشكّل الاجتماعيّ» تفسيرًا لما تُحدثه وسائل الإعلام التي تستهدف العمل على صياغة القيم ونشرها ليقوم المتلقّي باكتسابها وتحويلها إلى نمط سلوكيّ، عبر ما يعرف بـ«التعلم بالملاحظة» أو عبر المحاكاة، وكانت نتيجة الأبحاث بنماذج «بندورا وروز - Bandora and Rose» ذات دلالة في ملاحظة تغيّر سلوك متلقي الرسالة الإعلاميّة خصوصًا من الأطفال والمراهقين نحو محاكاة النماذج أو اتخاذ القدوة لاكتساب سلوك جديد، فضلًا عن أنّ تجاربهما أثبتت أنّ السلوكيّات المكتسبة بالاقتداء بالنماذج لها الرسوخ نفسه في نفس المتلقي شأنها شأن الخبرة المباشرة للفرد في المواقف المختلفة[2].

يمكننا أيضًا تعميم النظريّة لتفسير كيف يلاحظ الأفراد على الشبكات الاجتماعيّة أفعال القدوات والمؤثّرين، ويعملون على تبنّي نماذج السلوك التي يلاحظونها، مثل ملاحظة طريقة الردّ والتفاعل والتعامل مع الأحداث، ومن ثَمّ تقليد هذا النموذج للشعور بالرضا والراحة، مثلًا: إذا لاحظ المتابع لوسائل التواصل الاجتماعيّ نموذجًا لـ«مؤثر اجتماعيّ – Influencer» له موقف

1 – صادق عباس الموسوي، التنشئة الاجتماعيّة والالتزام الدينيّ، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2017، ص 125.

2 – محمّد عبد الحميد، نظريّات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة: عالم الكتاب، 2004، ص 323.

إيجابي نحو حدث معيّن، فإنّه -على الأغلب- سيتبنّى الاتجاه نفسه. لنجد أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ مصدرٌ مثاليٌّ لتطبيق آليّات «التعلّم الاجتماعيّ» بمراحله: الملاحظة - النمذجة - التقليد[1].

نتيجةً لدراسة تأثير إلحاح وتكرار الرسائل عبر وسائل الاتصال الجماهيريّة على البيئة الثقافية، صاغ «جورج جربنر - George Gerbner»[2] نظريّته المعروفة بـ«الغرس الثقافي» بقوله: «هي زرع وتنمية المكوّنات المعرفيّة والنفسيّة التي تقوم بها مصادر المعلومات أثناء التعرّض لها ضمن عمليّات التنشئة الاجتماعية»[3]. لكنّ الفرق هو أن صناعة التأثير بـ«الغرس الثقافي» تحصل بطريقة لا إراديّة وعرَضيّة نتيجة التعرّض المكثّف لرسالة إعلاميّة بعينها، فتقوم بغرس وإنماء أفكار واتجاهات وصورة ذهنيّة في لاوعي المتلقّي[4]، ثم بعد تكرار هذه الآليّة مع مجموعات متلقين مكوّنة من آلاف عدّة، فسينتج ما أثبتته الدراسات: أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ قادرة على بناء اتجاهات ثقافيّة سائدة وقادرة على إيجاد مفاهيم وسلوكيات متماسكة ومحددة في المجتمع[5]، والخطير في عمليّة «الغرس الثقافيّ» أنّها عمليّة تستخدم التعليم غير المباشر الذي يرسّخ الحقائق والقيم ورؤية الحياة عند المتلقّي لتصبح أساسًا عنده لفهم واقعه الاجتماعيّ، هذا مع اعتقاده أنّ القيم المترسّخة لديه ناتجة من خبراته الشخصيّة هو لا التأثير الخارجيّ[6].

ما يؤدي بمضيّ الوقت إلى نشوء ظاهرة أخرى -أشدُّ خطورة- وهي التمرُّد أو الشعور بالغربة وعدم الانتماء للقيم الموروثة والأصيلة، أو ما يسمى بـ«الاغتراب الاجتماعيّ».

1 - سماح حسين القاضي، تلفزيون الواقع ونشر الثقافة الاستهلاكيّة. عمّان: المكتبة الوطنيّة، 2011، ص 63 - 64.
2 - أستاذ علم الاتصال في جامعة بنسلفانيا.
3 - شقيقة مهري، الظاهرة الإعلاميّة المعاصرة في صورتها التلفزيونيّة: بين نظريّة الغرس الثقافي وأساليب والوقاية من الإدمان. مجلّة الكلمة، 2014، ص 112.
4 - فتحي حسين عامر، علم النفس الإعلاميّ. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2012، ص 141.
5 - أماني عمر حافظ، الإعلام والمجتمع: أطفال في ظروف صعبة ووسائل إعلام مؤثّرة، القاهرة: عالم الكتب، ص 111.
6 - أماني عمر حافظ، المصدر نفسه.

اغتراب الشبكات الاجتماعيّة

يولَد الإنسان طفلًا ذا نوازع فردية وأنانيّة، ثمّ ينجح المجتمع أو يفشل في عمليّة تطبيعه الاجتماعيّ، ويجعل الفرد يتخلّى عن جانب كبير من فرديّته، والاندماج في الجماعة، وفي السياق الطبيعّي -ما قبل عصر الإنترنت- يكون الطفل أو الشاب مضطرًا إلى الاختلاط الاجتماعيّ والتأثّر بالمجتمع، وينجح -غالبًا- في اكتساب القدرة على التفاهم والتعاون والعمل مع الآخرين، وينجح -غالبًا- في الالتزام بالتنظيم الاجتماعيّ أو الإداريّ أو القانونيّ. أمّا مع وجود المجتمعات الافتراضيّة، فقد تشكّلت «حالة جديدة» لا تؤدّي فقط إلى الآثار النفسيّة التي نوقشت سابقًا، بل ثارت تساؤلات حول تأثيراتها الاجتماعيّة، وما إذا كانت عاملًا في تغريب الشباب عن قيم مجتمعهم.

تؤكّد دراسات[1] أنّ كثافة تعرّض الشباب إلى شبكة الإنترنت ومواقع الشبكات الاجتماعيّة، تتناسب طرديًّا مع مستوى شعورهم بالاغتراب، إذ تسعى المجتمعات الافتراضيَّة إلى خلق ما يسّمى «الشعور بالمجتمع والجماعة»، ويُوجِز «ماكميلان وشافيز -McMillan and Chavis » العوامل التي ينشأ عبرها هذا الإحساس في ما يلي:

- الشعور بالانتماء إلى جماعة: عبر عضويَّتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة التفاعل مع أفرادها وأحداثها.
- الشعور بالقدرة على التأثير: سواء في تلك الجماعة أو المجتمع الافتراضّي، عبر ردود الأفعال التي يتلقّاها الفرد من بقيَّة أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع الافتراضّي، وكذلك التأثّر بما يحدث في ذلك المجتمع.
- تبادل الدعم: عبر إشباع الحاجات النفسيّة والشعوريّة، والارتباط

1 – لمراجعة الموضوع بالتفصيل يمكن مراجعة رسالة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال للباحثة «حبيبة بوغي» بعنوان: مظاهر الاغتراب الثقافيّ في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك نموذجًا)، من جامعة محمّد بوضياف، سنة 2017م.

الوجدانيّ بأفراد الجماعة عبر تبادل التهاني والتعازي والمواساة والنصيحة وبطاقات المعايدة، وما إلى ذلك.

- الشعور بالحضور والتواجد: تعويضًا عن العزلة والغياب اللذيْن نتجا عن هيمنة القيم الماديّة في العالم الواقعيّ وانشغال الجميع بتأمين أسباب الحياة.

تزداد قوّة العلاقات الافتراضيّة في المجتمع الافتراضّي بين أفراده، وبسبب سهولة العثور على أقران لهم الاهتمامات والميول والأذواق والأهداف والخلفيّات المُشتركَة نفسها، وتبدأ بالتدريج عمليّة تغيير هويّة الفرد الرقميّ لمزيد من التماهي مع الجماعة للحصول على المزيد من الدعم والمقبوليّة، وسرعان ما تتحوّل التغيّرات في الهويّة الافتراضيّة إلى تّغيرات في الهويّة الشخصيّة في العالم الحقيقّي، وتبدأ عملية «الاغتراب».

«الاغتراب» اصطلاحًا يدلّ على معنى الضياع في المحيط وفقدان الإنسان شخصيّته وكيانه، ممّا يجعله يحسّ بالحاجة إلى الثورة والخروج على المألوف، كي يستعيد هذا الكيان وتلك الشخصية[1]. ويرى عالم النفس والفيلسوف الأميركي «أريك فروم ـ Erich Fromm»[2] أنّ أهمّ العوامل التي تؤدي بالفرد إلى الشعور بالاغتراب هو الحركة التكنولوجية التي حوّلت الإنسان إلى مفهوم استهلاكي وحرمته من الشعور بهويّته وقيمته، وشعوره بأنّه يعيش في مجتمع ترتكز كلّ أهميته في الإنتاج، ولا يهتمّ بتنمية العلاقات الإنسانيّة الصحيحة بين الأفراد[3].

1 – معجم اللغة العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج2 ص1602.

2 – عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أميركي، درس علم الاجتماع في جامعة هايدلبيرغ تحت إشراف عالم الاجتماع «ألفريد فيبر»، والفلسفة تحت إشراف «هاينريش ريكيرت»، وعلم النفس بإشراف «كارل جاسبرز»، حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها في العام 1922م، تدرّب على التحليل النفسيّ في مصحة التحليل النفسيّ في هايدلبيرغ على يد الطبيبة النفسية «فريدا رايخمان» التي عرفته على عالم التحليل النفسي الفرويدي، وبعدها بثلاثة أعوام التحق بمعهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعيّة، وأكمل تدريبه في التحليل النفسيّ، ثم انتقل إلى جامعة كولومبيا في نيويورك، وساهم في تأسيس فرع لمدرسة واشنطن للتحليل النفسيّ في نيويورك. (ويكيبيديا)

3 – ظاهرة الاغتراب المجتمعيّ وانعكاساتها، حلا أحمد، دراسة نشرت في المعهد المصريّ للدراسات، بتاريخ 24/12/2018م.

كما يرى الدكتور «أحمد العموش»[1]: «أنّ الاغتراب مركبٌ نفسيّ واجتماعيّ يتكّون بسبب غياب الاستراتيجيّات الفاعلة التي تضمن مشاركة الشباب الشاملة في رسم الخطط الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وأنّ الشباب العربيّ مدفوع في هذه المشكلة بضيق الواقع إلى رحابة العالم الافتراضيّ»[2]. والنتيجة أنّ الثورة المعلوماتيّة التي أطلّت أولًا من الفضائيّات، ثمّ من الإعلام الإلكترونيّ، ثمّ من الشبكات الاجتماعيّة، فتحت الباب على مصراعيه لنشر قيم الحضارة الغربيّة عبر تصدير صورة التطوّر ودولة القانون والاستقرار والرخاء، وشعارات احترام الحقوق، فيقارن الشاب ما يراه عن مجتمعات الغرب مع ما يعيشه في الواقع، فتتزعزع مبادئه ويقع فريسة ازدواجيّة وصراع بين ما يحمله من مبادئ وقيم وعادات وبين ما يُعرَض عليه، فلا يتوقّف الأمر عند تفكيك الهويّة الدينيّة أو الوطنيّة أو القوميّة، بل تتجاوزها إلى الهويّة الشخصيّة، كما أثبتت دراسات[3].

ومهما تكن طريقة تعريف وتناول المدارس العلميّة المختلفة لمفهوم اغتراب الشباب بسبب الشبكات الاجتماعيّة، وبالرغم من تعدّد رؤية الأزمة من زوايا عدّة، من حيث التعريف أو أولويّة التأثير (الاغتراب الدينيّ والاغتراب النفسيّ والاغتراب الأُسَريّ والاغتراب السياسّي ..)؛ لكّن المدارس العلميّة المختلفة اتفقت على مجموعة من مظاهر الاغتراب أهمّها هو[4]:

1 ـ اللامبالاة.

2 ـ العزلة الاجتماعيّة.

3 ـ الانفصال عن قيم المجتمع.

4 ـ العجز عن استثمار الطاقات والقدرات الفرديّة.

1 – أستاذ علم الاجتماع في جامعة الشارقة.

2 – اغتراب الشباب ظاهرة عربيّة مركّبة، نورا الأمير، نشر في موقع شبكة مدارس الإمارات، بتاريخ 9/7/2009.

3 – شبكات التواصل الاجتماعيّ كفضاء مستحدث لتشكل الاغتراب النفسيّ – نحو اعتزال الواقع والعيش في الافتراضي–، إعداد: فريدة صغير عباس، آمال سي موسى، دراسة نشرت في المجلة الجزائريّة للأبحاث والدراسات، العدد 9/ السنة 2019م. ص77.

4 – علي لفتة العيساوي، الفيسبوك .. الوطن البديل للشباب، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيّة، النجف الأشرف.

5 ـ التمرّد على العادات والقيم التي تربّى ونشأ عليها.

6 ـ تفضيل الهجرة إلى بلاد الغرب والابتعاد عن وطنه.

7 ـ الإحساس والشعور نه لا ينتمي للواقع الذي هو فيه.

8 ـ عدم الانسجام مع المحيط الذي ينتمي إليه، ويرى أنّ العلاقات في مجتمعه تبنى على المصالح فقط.

حسب دراسات نفسيّة[1]، يبدأ الاغتراب عمليًّا بالتفاعل بين مساحتين:

- الأولى: الذات: التي يمارس ضدها الاغتراب.
- والثانية: الواقع: وهو مسرح الاغتراب ذاته. ويكون التفاعل على ثلاثة مراحل[2]:

1 - مرحلة التهيّؤ للاغتراب: هي النقطة الأولى التي ينطلق منها الإنسان في إحساسه بهذا الاغتراب، وذلك حين تبدأ تلك المكوّنات الخارجيّة بالتأثير على هذا الفرد، وتنقله من مرحلة السيطرة على أفعاله ومشاعره إلى مرحلة عدم المقدرة على السيطرة على هذه الأفعال والمشاعر، وتقوم خوارزميّات الشبكات الاجتماعيّة بتسهيل ذلك عبر إطلاق العنان للتعبير عن المشاعر، من خلال الهويّات الافتراضيّة المزيّفة.

2 - مرحلة النفور والرفض الثقافيّ: هي المرحلة التي يبدأ فيها المغترب بالنظر إلى ما يدور حوله من عناصر الغربة والاغتراب، ويأخذ بالنفور منها، ويحاول الوصول إلى خلاص من هذه العناصر الاغترابيّة، ضمن مكوّنات حياته التي يعيشها، وتسهّل الشبكات الاجتماعيّة ذلك عبر تعظيم الشعور بالسخط نتيجة المقارنة بين صورة الآخر الجميل الأخلاقيّ وبين الواقع المؤلم. ثم،

1 – محمّد إبراهيم عيد، أزمات الشباب النفسيّة، القاهرة، مكتبة الزهراء، ص16.

2 – سيّد علي شيتا، نظريّة الاغتراب من منظور علم الاجتماع، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ص:339.

بناءً على صورة الحياة المثاليّة في الواقع الافتراضيّ، يبدأ الشباب بالشعور أنّ الإطار الاجتماعّي الذي يعيش فيه لا يلبّي رغباته الاجتماعيّة كافة، ولا يمنحه الدور الذي يصبو إليه لتحقيق ذاته[1].

3 - مرحلة تكّيف المغترب: تُدعى مرحلة «الانعزال الاجتماعي»، فيها يدرك الفرد أنّه أصبح في حالة من الانعزال عن أسرته وأصدقائه، وأنّه غير قادر على مسايرة الأوضاع، فيحاول التكيّف عبر الانسحاب من الواقع الذي يسبّب اغترابه، والرضوخ للنظام القائم والتعاون معه قهرًا، وينشأ عن ذلك قبول ظاهريّ، وصولًا إلى تمرّده الثوريّ من أجل تغيير جذريّ وتجاوز حالة الاغتراب، سواء عبر فعل احتجاجي في الشارع أو الهجرة أو محاولة الانتحار ..إلخ.

يرى المفكر الأميركّي والناقد الاجتماعيّ «بول غودمان - Paul Goodman»[2] أنّ تعقيد أزمة الهويّة يتفاقم بسبب إحساس الشباب بالضياع والاغتراب في مجتمع لا يساعده في فهم من هو، ولا تحديد دوره في الحياة، ولا يوفّر له فرصًا يمكن أن تعينه في الإحساس بقيمته الاجتماعيّة. فالمجتمعات الميتة لم تحرم الشباب من القدوة والمثل فقط، وإنّما عطلتهم أيضًا عن القيام بدور ذي معنى في الحياة[3]، والشبكات الاجتماعيّة من حيث بنيتها المعرفيّة وطريقة تنظيم الأفكار فيها وطريقة عرضها، بل حتى التصميم الفنّي لهذه التطبيقات تمثّل وعاءً مثاليًّا للشباب للانتقال في عمليّة الاغتراب النفسيّ من الهويّة الإسلاميّة إلى التغريب واصطباغ نمط الحياة بالنمط الغربيّ، نظرًا لما يتصدّر من أنّ الحضارة الغربيّة هي المعبّر الأصلح عن التطوّر والتقدّم والرقيّ الاجتماعيّ[4].

1 – وفاء موسى، الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسيّة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ص17.

2 – نال درجة الدكتوراه في الفلسفة في العام 1954 من جامعة شيكاغو التي نشرت أطروحته «بنية الأدب»، تميّز بإسهاماته في تطوير نظريّات التحليل النفسيّ والتخطيط المدنيّ، كتب مع أخيه المهندس المعماريّ بيرسيفال كتاب «التجانس الاجتماعيّ 1947». يدور الكتاب حول أطروحة غياب التكامل الوظيفيّ بين الحياة الحضريّة والريفيّة.

3 – زت حجازي، الشباب العربيّ والمشكلات التي يواجهونها، عص121.

4 – لمياء طالة، الإعلام الفضائيّ والتغريب الثقافيّ،ص11.

في كتابه بعنوان «السياسات السيكولوجيّة: النيوليبراليّة وتكنولوجيّات السلطة الجديدة»، يُقدِّم الفيلسوف الكوري الألماني «بيونغ تشول هان - Byung-Chul Han»[1] مفهومًا آخر لتحليل أشكال الهيمنة في المجتمعات النيوليبراليّة وهو «السياسات السيكولوجيّة»، ويُشير المصطلح إلى صنف من السيطرة تمارسه المجتمعات عبر استخدام البيانات الشخصيّة. بحسب «هان»، فإنَّ الشبكة ووسائل التواصل الاجتماعيّ والبيانات الضخمة هي أدوات أساسيّة للنيوليبرالية الحديثة، بما أنّها تُتيح شكلًا أكثر فعاليّةً واستقرارًا من أشكال الضبط، ولكن يُمارَس هذا الضبط بأسلوب مختلف عن الأساليب السلطويّة أو الشموليّة التقليديّة في السيطرة، فهوَ بدلًا من تقييد الاتصال ـكما تفعل السلطات الشموليّة عادةـ فإنّه يُحفّزه، وبدلًا من أن يخرج الإنسان من عزلته وانطوائيَّته في الواقع الاجتماعّي، انتُهِي بكثيرين إلى عزلة جديدة، وهذه هي المفارقة الكبرى في عالم الشبكات الاجتماعيّة[2]. هذه المفارقة يلخّصها عنوان كتاب لـ«شيري تيركل -Sherry Turkle»[3]: «نحن معًا لكنَّنا وحيدون: لماذا أصبحنا ننتظر من التكنولوجيا أكثر ممّا ينتظر بعضنا من بعض؟»[4]. والسؤال الأهمّ: لماذا أدّت «الحتميّة التكنولوجيّة» إلى التفكّك الاجتماعيّ؟

1 – فيلسوف ومنظّر ثقافيّ كوري سويسري ألماني. كان أيضًا أستاذًا في جامعة برلين للفنون، وعضو في هيئة التدريس في جامعة كارلسروه للفنون والتصميم، متخصّص في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، والأخلاق، والفلسفة الاجتماعية، والفينومينولوجيا، والنظريّة الثقافيّة، والجماليّات، والدين، نظريّة الوسائط، والفلسفة بين الثقافات. (ويكيبيديا)

2 – بايوسف مسعودة، الهويَّة الافتراضيَّة – الخصائص والأبعاد، مجلّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، عدد خاص الملتقى الدوليّ الأوَّل حول الهويَّة والمجالات الاجتماعيَّة في ظلّ التحوّلات السوسيوثقافيَّة في المجتمع الجزائريّ، 2011.

3 – شيري تيركل Sherry Turkle، أستاذة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، وهي باحثة في علم الاجتماع وعلم النفس، وقد قضت ما يزيد على 20 عامًا في تقصّي طبيعة التفاعل بين البشر والحواسب الإلكترونيَّة (ومثيلاتها من المنتجات الإلكترونيَّة)، كما أنَّها ألّفت كتابين غير مسبوقين في هذا الموضوع هما: «الذات الثانية: الحواسب وطبيعة البشر»، و«الحياة على الشاشة: الهويَّة في عصر الإنترنت».

4 – Alone Together: Why We Expect More from Technologies than from Each, New York: Basic Books, 2011

الحتميّة التكنولوجية والتفكّك الاجتماعيّ

تعدّ نظرية «الحتميّة التكنولوجيّة» من النظريّات الماديّة التي اهتمّت بتحليل تأثير تكنولوجيا وسائل الإعلام على شعور وتفكير وسلوك الأفراد، وعلى التطوّر التاريخيّ للمجتمعات[1]، وترى أنّ التغيير الاجتماعيّ الحقيقيّ ينشأ من تغيير تقنيّات ووسائل الاتصال أكثر ممّا ترتبط بمضمون الرسائل التي تُبثّ عبر تلك الوسائل، وينظر أصحابها لذلك بالقول إنّ «شبكة الإنترنت تشكّل امتدادًا للأنا بكلّ مركّباتها، كما شكّلت السيّارة امتدادًا للقدمين، والراديو امتدادًا للأذن، والتلفزيون امتدادًا للعين»[2]. ويستتبع هذا الأمر جملة من السلوكيّات منها إبراز وإشهار وإظهار الذات، وفقًا لقاعدة «أنا على الشبكات الاجتماعيّة، إذًا أنا موجود»، فينتج عن هذا التعريف، على سبيل المثال ظواهر مثل إعلان وعرض الخصوصيَّات الحميميّة على الشبكات الاجتماعيّة، والتي تفسّر بأنّها أحد وجوه الرغبة في إشهار وإعلان الذات والتعبير عنها. وهذه الظاهرة ومثلها ممّا تفرّع عن التعريف الجديد للذات هي نتيجة اتّحاد الإنسان بالشبكات الاجتماعيّة الذي أبرز كيان وهويّة جديدة هي «الفرد الرقميّ»[3].

تتفق هذه النظريّة مع مبادئ النيوليبراليّة، فترى أنّ الشبكات الاجتماعيّة ساهمت في تحطيم ما كان معروفًا بـ«القرية العالميّة» وتحويلها إلى شظايا، حيث العالم أقرب ما يكون إلى البناية الضخمة التي تضم عشرات الشقق السكنيّة التي يقيم بها أناس كثيرون، لكنّ كلًّا منهم يعيش في عزلة ولا يدري شيئًا عن جيرانه في خطوة أخرى نحو التفتيت واللامركزيّة.

ومع تطوُّر نسق الفردانيَّة وانغلاق الإنسان على ذاته، أصبحت المتطلّبات

1 – فضيل ديلو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال (المفهوم – الاستعمالات – الآفاق)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 2010، ص 60.

2 – بسام عبد الرحمن المشاقبة، نظريّات الاتصال، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2011، ص 197 – 198.

3 – عبد الوهاب الرامي، الإشكالات المنهجيَّة في دراسة الشبكات الاجتماعيّة الرقميّة وسبل التغلّب عليها، المعهد العالي للإعلام والاتصال في المغرب، ورقة مقدّمة للمؤتمر الدولي «وسائل التواصل الاجتماعي التطبيقات والإشكالات المنهجيّة»، كليّة الإعلام والاتصال في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميَّة بتاريخ 10/03/2015 السعودية.

الفرديَّة (اللذّة الشخصيّة) محور تفكير الإنسان وسلوكه، وأصبح أكثر تطلُّبًا للاستقلال عن الجماعة والحريَّة من أيّ قيود، بالتبعيّة تحوَّلت الحياة الاجتماعيَّة إلى مسرح للصراعات، وترتَّب على هذا النمط الاجتماعي الجديد أشكالٌ جديدة من القهر والظلم والحرمان والسيطرة، في المجال المهنيّ، مثلًا: أصبح العقل الأداتيّ ينظر إلى الآخر على أنَّه مجرَّد أداة في السوق، تُوَظَّف في تحقيق الغايات التي لا تتجاوز حدود الربح لتأمين الرفاه والمتعة. مثال آخر: كما في تطوُّر التكنولوجيا الطبيَّة التي أدّت إلى تجاهل الجوانب الإنسانيَّة عند المرضى، ثم امتدَّت آثار هذه التكنولوجيا إلى الإنسان. فالمُمرِّض، مثلًا، تحوَّل إلى امتداد آليّ للأدوات الطبيَّة التكنولوجيَّة، وبدأ بعض الممرِّضين يفقدون المشاعر الإنسانيَّة النبيلة في ميدان العمل تحت تأثير الماكينات. عندها بدأ الباحثون الاجتماعيُّون بالبحث عن أسباب بؤس الفردانيَّة والانتكاسات التي سبَّبتها للحياة الاجتماعيَّة، وحيث لكلّ فرد منظوره الخاصّ -طبقًا لمفهوم «الحداثة السائلة»- وحيث كلّ شيء نسبيّ وشخصيّ والرؤية الكونية لمعظم الأفراد متمحورة حول الذات، وهذه هي أولى الخطوات نحو هاوية «الاستلاب الحضاريّ».

الاستلاب الحضاريّ وغياب الدولة

يرى «محمّد عابد الجابري» أنّ وسائل الإعلام الجديدة تُنتج «ثقافة الاختراق» التي تقوم على مجموعة من الأوهام الهادفة إلى «التطبيع مع الهيمنة وتوطيد التبعيّة الحضاريّة». ويعتقد «الجابري» أنّ إحدى آليّات إنتاج «ثقافة الاختراق» هو افتعال ازدواجيّة وانشطار داخل الهويّة الثقافيّة العربيّة... بمعنى إحداث انقسام بين ما هو تقليديّ وما هو حداثيّ[1]، وأحد الأمثلة لهذا الاختراق هو ما يمارس من «غرس ثقافيّ»

وسائل الإعلام الجديدة تُنتج «ثقافة الاختراق» التي تقوم على مجموعة من الأوهام الهادفة إلى «التطبيع مع الهيمنة وتوطيد التبعيّة الحضاريّة».

1 – محمّد عابد الجابري، «العولمة والهوية الثقافيّة: عشر أطروحات»، المستقبل العربي، (المجلد 20، العدد 228،

للشباب على الشبكات الاجتماعيّة، والذي يؤدّي بالضرورة إلى حدوث «استلاب حضاريّ».

الاستلاب -Alienation- اصطلاحًا هو وقوع الكائن العاقل في موقع الأَسْر لفكرة ما، فبدلًا من أن يمتلك حيّزًا من التفكير المتفاعل مع محيطه، فإنّه يقع في أسر مَقدِرةٍ ما (مثل خوارزميّات الشبكات الاجتماعيّة)، تصبح هي الرأس الموجّه له وتصبح المسيطر على منهجه الفكريّ وبُناه المعرفيّة[1]. وقد ظهرت أول إرهاصات الاستلاب الفكريّ داخل الشبكات الاجتماعيّة في توصية رفعها المستشار العلميّ للحكومة البريطانيَّة في تقريره الذي يحذّر من أنّ منصات التواصل الاجتماعيّ أصبحت تؤثّر على تشكيل الهويّة الاجتماعيّة للفرد عبر ردود الفعل الاجتماعيّة، وذلك أثناء ممارسة «تأثير اجتماعيّ» على المستخدم عبر قرارات مستخدم الآخر؛ إذ أصبحت «الوسائط التفاعليّة» قناة لنقل المعلومات حول الأدوار والقيم الاجتماعيّة[2]. يقول: «إنَّ المنصَّات الرقميّة ستلعب دورًا تفاعليًّا متزايدًا يؤثِّر في تشكيل الهويّة الذاتيَّة للأفراد، من حيث اتصال الأفراد بصورة مستمرَّة ويوميَّة عبر الإنترنت، وانتشار وسائل التواصل وزيادة المعلومات»[3].

ظهرت أول إرهاصات الاستلاب الفكريّ داخل الشبكات الاجتماعيّة في توصية رفعها المستشار العلميّ للحكومة البريطانيَّة في تقريره الذي يحذّر من أنّ منصات التواصل الاجتماعيّ أصبحت تؤثّر على تشكيل الهويّة الاجتماعيّة للفرد.

يرى «نبيل دجاني»[4] أنّ: «... منصّات التواصل الاجتماعيّ عملت على تحرير

28 فبراير/شباط 1998)، ص 14–22.

1 – عماد يوسف، مفهوم الاستلاب العقليّ الفكريّ والثقافيّ رؤيا في نهج الاستلاب، نشر في 08/02/2011، موقع الحوار المتمدن. (بتصرف)

2 – Black, R. W., Korobkova, K. & Epler, A. (2014). Barbie Girls and Xtractaurs: Discourse and identity in virtual worlds for young children. Journal of Early Childhood Literacy, 14 (2), 265 – 285.

3 – سوزان غرينفيلد، تغيّر العقل، كيف تترك التقنيّات الرقميَّة بصماتها على أدمغتنا، نشر مجلة عالم المعرفة 2017.

4 – أستاذ الدراسات الإعلاميّة في قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الإعلاميّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت، حيث عمل أيضًا مساعدًا لعميد كليّة الآداب والعلوم ورئيس قسم العلوم الاجتماعيّة والسلوكيّة.

عمليّة الاتصال من العديد من القيود التي كانت مفروضة أو تُستخدم للحدّ من تواصل الأفراد والجماعات. ومع ذلك، تبقى إمكانيّة التلاعب بهذه المنصّات ممكنة، خاصّة من طرف من يمتلكون المعرفة والأدوات التقنيّة المتطوّرة. وهنا يكمن خطر هيمنة البلدان المتقدّمة تقنيًّا وماديًّا على البلدان المتأخِّرة في هذا المجال، فضلًا عن خطر سيطرة المؤسّسات التجاريّة على الطريقة التي يستهلك بها الجمهور هذه الوسائل، فتكون الطاقة العقليّة الناتجة عن تقنيّات الوسائط التفاعليّة أو إدارتها من قِبَل الشركات متعددة الجنسيّات التي تتحكَّم في قنوات الاتصال في البلدان الأقّل نموًّا ... لا تعمل شبكات التواصل الاجتماعيّ في فراغ، بل في وسط واقع مجتمعيّ، ولذلك يجب أن يتنزَّل عملها في سياق المسؤوليّة الاجتماعيّة والأخلاقيّة للمجتمع الذي توجد فيه، وهذا عامل مهم في تشكيل الفهم العقليّ أو الوعي الذي يتطلّبه تشكيل نظرة المواطن إلى مجتمعه، وإلى العالم. ليس بالضرورة أن يؤدّي المحتوى الذي توفّره منصّات التواصل الاجتماعيّ، مثل الرسائل الثقافيّة أو الترفيهيّة أو غيرها، إلى إدراك الحقيقة، ولكنّه يشارك في تشكيل «واقع افتراضيّ» جديد، من شأنه الإسهام في تغريب شبابنا. فبدلًا من تسهيل مشاركة الجمهور العربيّ في مجتمعاته، نشهد اليوم فرض هيمنة الثقافات الأجنبيّة على قنواتنا التفاعليّة ومحتواها إلى اغتراب ذلك الجمهور. وغالبًا ما يحدث الاغتراب عبر طرح محتوى غير مرتبط بالواقع الثقافيّ العربيّ، وهو ما يدفع الناس عامّة إلى التمرّد على قيمهم وأسلوب حياتهم. وهكذا، فإنّه بإمكان منصّات التواصل الاجتماعيّ لعب دور مؤثّر في تشتيت انتباه الناس عن مشكلاتهم المحليّة، وتوجيه انتباههم بعيدًا عن قضاياهم الاجتماعيّة والوطنيّة الحقيقيّة، ودفعهم نحو التركيز على القضايا الأجنبيّة المستوردة وغير الضرورية»[1].

1 – نبيل دجاثي، البنية الاخلاقيّة والقانونية لمجال عام عادل لشبكات التواصل الاجتماعي، موقع الجزيرة، بتاريخ 11 – 7– 2023.

خوارزميّات الشبكات وعصر «ما بعد الحقيقة»

مع دخول عصر الرقميّة، وشيوع فلسفات ما بعد الحداثة، وما بعد الحقيقة، (سيولة المفاهيم)، ظهرت الشبكات الاجتماعيّة كواقع جديد اعتبر طفرة هائلة في المجالات الاجتماعيّة والإعلاميّة. لكّن هذه الطفرة لم تكن حتميّة تقنيّة فقط، لكنّها ثمرة دمج معارف علماء الاجتماع مع مطوّري ومهندسي الحاسب الآلّي بهدف تقديم أدوات بحثيّة تقنيّة تتعامل مع بيانات الجيل الثالث (البيانات الضخمة التي تنشأ عن مواقع الشبكات الاجتماعيّة)، فقد أدّى هذا الفيض اللانهائي من البيانات على مدار الثانية إلى إغراق البشريّة بحمل زائد من البيانات التي لا يمكن للعقل البشريّ استيعابها والتعامل معها، ولا مفرّ من إيكال المهمّة إلى الخوارزميّات لتتحكَّم في جزء كبير من هذه البيانات.

لا يعلم أحدٌ كيف تعمل الخوارزميّات، أصبحت تُخفي بيانات أو تروِّجها وفقًا لأجندات أيديولوجيّة، يفرضُها أصحاب المواقع الإلكترونيّة، ونحن العرب أكثر من تأثّر بهذا الشكل من الاستبداد الرقميّ الحديث. فنحن أكثر من نتناول في أحاديثه العامّة القضايا السياسيّة والأخلاقيّة. وبسبب الجدالات اللانهائيّة على تلك المواقع، وتبنّي كلّ مستخدم لموقفه الخاصّ، وما زاد على ذلك من القدرة على فبركة الوقائع والأحداث والمواقف، دخلت الحقيقة باعتبارها قيمة عليا في نفق مظلم، جعل بعضهم يتحدثون عن مرحلة فكريّة جديدة، أُطلِق عليها «ما بعد الحقيقة»؛ إذ تضمحلّ كلّ الثوابت الفطريّة والعقليّة، وتهمّش المرجعيّات الفكريّة، بل وتفقد الثقة حتى في الحواس؛ ليخطوَ المجتمع خطوة أخرى نحو «التمحور حول الذات».

التمحور حول الذات

عزّزت دمقرطة الاتّصال من الشعور بقوَّة حضور «الأنا»؛ لأنَّها أخرجت آليَّات التعبير من أسر السلطة إلى أيدي آحاد الناس، وحرّرت «حقّ الكلام» بعد أن

كان محصورًا في ربّ الأسرة ونخب المجتمع والدولة[1]، فوَجَد «الفرد الرقميّ» نفسه رأسًا برأس مع النخبة، بل قد يفوقها حضورًا في هذا الفضاء العامّ، فهو فيه شخص صاحب رأي وموقف، يجادل ويناقش ويعلّق بحريّة، فبرزت هناك صورته الفرديَّة بنحو أكثر وضوحًا، وتضخّمت معها الذات، ولا بأس أن تطفوَ بين وقت وآخر بعض أمارات النرجسيَّة. وبعد أن كان هذا «الواحد» ذاتًا ذائبةً في هويَّة سلطة الجماعة والقبيلة والحزب والدولة، تحوّل «الفرد الرقميّ» إلى كيان ذي حيثيَّة اجتماعيَّة، وبعد أن اكتسب في العالم الرقميّ آلاف الأصدقاء والمتابعين ومئات الإعجابات[2]، أصبح يرى نفسه من منظار متضخِّم؛ فمواقع التواصل الاجتماعيّ هي بيئة يتساوى فيها الزعيم وعالم الدين مع الإنسان العاديّ.

عزّزت دمقرطة الاتّصال من الشعور بقوَّة حضور «الأنا»؛ لأنَّها أخرجت آليَّات التعبير من أسر السلطة إلى أيدي آحاد الناس.

كلّ طرف من أطراف عمليَّة الاتّصال والتواصل في الشبكات الاجتماعيّة يمتلك الدرجة نفسها من درجات السيطرة والتحكُّم على المحتوى المتبادل[3]، حيث تتعزّز النزعة الفرديَّة حين يُتاح لكلّ فرد أن يكون له صوته الخاصّ ليعرض أفكاره، وكذلك حين تتوافر لكلّ فردٍ منصَّة تساعده أن يكون «مؤثِّرا» في العالم. يقول «الصادق الحماميّ»[4]: «الفردانيَّة أيضًا من الأسباب التي ساهمت في تعزيز الإقبال على استخدام هذا الموقع الذي أدرك أهميَّة هذه القيمة الحضاريَّة التي أصبحت أساسيَّة، فأتاح للفرد فرصة أن يكون له مجال خاصّ به، وأن يكون طرفًا في المجال العموميّ، ومنح الناس إمكانيَّة التعبير عن آرائهم بفعل التبجيل، ليتجاوز بذلك نخبويَّة «الميديا التقليديَّة» التي تقوم

1 – عباس صادق، الإعلام الجديد – المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق – بيروت، 2008، ص 69.

2 – المباني الفكريّة لوسائل التواصل الاجتماعيّ، إعداد مركز المعارف للدراسات الثقافيّة، لبنان – بيروت، ص 17 – 18.

3 – زينب إبراهيم عقيل، التبليغ الدينيّ على فيسبوك تجربة مبلّغي حزب الله نموذجًا، الجامعة اللبنانيَّة كليَّة الإعلام والتوثيق، بيروت، 2018م.

4 – الصادق الحمامي، أستاذ الصحافة المشارك في معهد الصحافة وعلوم الإخبار، جامعة منوبة، تونس، وكاتب تونسي متخصص في قضايا الإعلام والاتصال السياسي والتكنولوجيّات الرقميّة. (ويكيبيديا)

على نخبة تتحدَّث وجمهور يستمع. ويعود ذلك في البداية إلى ظهور الإنترنت، ثمَّ موقع الفيسبوك الذي وَسَّع هذا المجال نحو ديمقراطيَّة الاتّصال»[1].

نجد في الشبكات الاجتماعيّة كلّ طرف من أطراف عمليَّة الاتّصال والتواصل يمتلك الدرجة نفسها من درجات السيطرة والتحكُّم على المحتوى المتبادل.

بعد أن عزّزت الممارسة الديمقراطيَّة للأفراد الحاضرين على وسائل التواصل الاجتماعيّ حضور الأنا، منحتهم أيضًا قدرة على التشريع، فشرَّعوا لأنفسهم مجموعة من القوانين والضوابط التي لم تشرّعها سلطة عليا، بل قام المستخدمون بأنفسهم بتشريعها عبر تراكم نشاطهم على هذه المواقع، هكذا مناخ يمارس فيه الدمقرطة –بأشكالها كافّة– مع إتاحة فُرَص التحرّر من القيود، وانعدام الرقابة الاجتماعيَّة حيث لا سلطة، يصبح فيه «الفرد الرقميّ» متلبِّسًا بصفات تنعكس على شخصيَّته في مجالات حياته الواقعيّة كافّة؛ إذ تغذّي «الدمقرطة في المجال الافتراضّي» ظواهر في العالم الواقعي، من قبيل: الفردانيَّة، والتعدُّديَّة، والتوجّهات الليبراليّة؛ لتتضح أولى معالم «تسييس التكنولوجيا».

تسييس التكنولوجيا

وَرَدَ نصٌّ في التقرير الدوري لـ«مجلس الاستخبارات القوميّة الأميركيّة –NIC» في العام 2009، بعنوان: «اتجاهات عالميّة 2030 ـ عوالم بديلة»: «إنّ «الفرد الرقميّ» المستخدم لوسائل التواصل الاجتماعيّ وشبكات الإنترنت سيتحوّل إلى عنصر فاعل ولاعب مؤثّر في اللعبة السياسيّة المحليّة، وإلى شريك في رسم خارطة القوى الجيوسياسيّة الدولية»[2].

لتتبنّى بعدها الخارجيّة الأميركيّة نظرية «مارشال مكلوهان ـ Marshall McLuhan» [3] التي تقول: «إنّ شكل وطبيعة وسائل الاتصال والإعلام في أيّ مجتمع وأيّ عصر هي التي تصوغ شكل التنظيم الاجتماعيّ والسياسيّ، وليس العكس، وإنّ نشر

1 – الصادق الحمامي، «صُمّم الفيسبوك ليبتلع البشريّة».

2 – التقرير متوافر على موقع مجلس الاستخبارات القوميّة باللغة الإنكليزيّة.

3 – مارشال ماكلوهان (1911–1980) مفكّر كندي، يعدّ من مؤسّسي علم وسائط الإعلام، ومرجع للمدرسة الإعلاميّة الأميركيّة.

وتعميم وسائل الاتصال والإعلام في المجتمعات هو هدفٌ في حدّ ذاته؛ لأنّ أدوات ووسائل الاتصال والإعلام تخلق شروط نمو البيئة الليبراليّة التّحرُّريّة والديموقراطيّة في المجالات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. فالوسيلة هي الرسالة - The medium is the message»[1]. ثم باستخدام هذا الوسط/الرسالة وداخله سيُخلق الجدل الذي يشكّل الرأي العام، أو بتعبير «مانويل كاستلز ـ Manuel Castells»[2]: «إنّ هذا المجال العام يمكن رؤيته كمجال حياتنا الاجتماعيّة الذي يمكن تشكيل الرأي العام عبره. وأصبح لمواقع التواصل الاجتماعيّ دورٌ في المجال العام وينظر إليها كأحد مصادر التغيير السياسيّ»[3]، لينتج عن ذلك ما يُسمّى بـ«عولمة البشريّة»، وربطها بشبكة المصالح الأميركيّة لتكون حسب المصطلح الذي استخدمه «جوزيف ناي ـ Joseph Nye»[4] معبّرًا عن هذا المجال من مجالات القوّة الناعمة قائلًا إنّها: «ستكون القوّة الأخطر والأكثر فعاليّة في القرن 21»[5].

يقول «شمعون بيريز ـ Shimon Peres»[6] في خطاب رسمي أمام ضيوف المنتدى الاقتصاديّ العالمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في دورته السابعة الذي انعقد في الأردن: «إنّ السياسات الناعمة عبر وسائل الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعيّ مهمّة

«إنّ السياسات الناعمة عبر وسائل الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعيّ مهمّة للوصول إلى الجمهور، فالتطوّر الذي طرأ على عقول الشباب العربيّ هو الذي قاد إلى الربيع العربيّ.

1 – حسن عماد مكاوي، الاتصال ونظريّاته المعاصرة، ط4، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، 2003، ص 74.

2 – وزير سابق، وعالم اجتماع إسباني مرتبط بنحو خاص بالبحث في مجتمع المعلومات والتواصل والعولمة، وأستاذ علم الاجتماع، جامعة أوبيرتا دي كاتالونيا (UOC) في برشلونة. وهو أيضًا أستاذ جامعيّ وأستاذ كرسي في واليس أننبرغ لتكنولوجيا الاتصالات والمجتمع في كليّة أننبرغ للاتصالات. (ويكيبيديا)

3 – مانويل كاستلز، شبكات الغضب والأمل – الحركات الاجتماعيّة في عصر الانترنت، ترجمة: هايدي عبد اللطيف، نشر في المركز العربيّ للأبحاث والسياسات، بتاريخ آذار/مارس 2018.

4 – مساعد وزير الدفاع الأميركيّ الأسبق لشؤون الأمن الدوليّ.

5 – جوزيف ناي، «القوة السيبرانية»، نشر جامعة هارفاد، 2010.

6 – من الآباء المؤسّسين لما يسمّى بـ «إسرائيل» ومن أهم عقولهم الاستراتيجيّة، شغل تقريبا جميع المناصب العامة: وزير، رئيس وزراء، رئيس جمهوريّة الكيان المؤقّت.

للوصول إلى الجمهور، فالتطوّر الذي طرأ على عقول الشباب العربيّ هو الذي قاد إلى الربيع العربيّ. والتقنيّة لا حدود لها، والجيوش العربيّة لا تستطيع السيطرة على التقنية، كما أنّ أجهزة الشرطة العربيّة لا تستطيع اعتقال روح الابتكار، والعولمة تتخطى حدود العزلة ولا تتفق معها، وكلّ هذه الحقائق الكبرى هي التي تحدّد أسباب التغيير في المنطقة، وإذا كان الحديث يجري عن التطوّرات الناعمة باعتبارها مفاتيح التغيير، فهي: المعلوماتيّة، والارتباط الكونيّ عبر الإنترنت، وما نتج عنه من تواصل غير محدود بين الشعوب والحضارات»[1].

الشبكات الاجتماعيّة في الميدان

كانت أولى تجارب استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ في نهاية التسعينيّات، كواحدة من أدوات «تكنولوجيا السياسة»، وفق تعبير «أريك شميدت – Eric Schmidt»[2]، عبر توظيفها ميدانيًّا لتحريك وتعبئة الاحتجاجات في أندونيسيا في العام 1998 لإسقاط «سوهارتو – Soeharto»[3]، ثم كانت شبكات التواصل الأداة الأهّم في الحشد لاحتجاجات هونغ كونغ في العام 2014 عبر نشر شعارات «إسقاط الوصاية الصينيّة»، سعيًا من الإدارة الأميركيّة لتحويل الإنترنت -حسب تعبير «أليك روس – Alec Ross»[4]، المستشار التقنيّ آنذاك لوزارة الخارجيّة الأميركيّة- إلى «تشي غيفارا القرن 21»[5].

لاحقًا، رسميًّا، نشر موقع وزارة الخارجية الأميركيّة كتيّبًا ودليلًا استرشاديًّا

1 – موقع وزارة الخارجية الصهيونيّة على الانترنت.

2 – رئيس شركة جوجل والمدير التنفيذيّ السابق لها وعضو سابق في مجلس إدارة شركة أبل.

3 – رئيس إندونيسيا الأسبق.

4 – أليك روس: متخصّص في الأمن الإلكترونيّ (الأمن السيبراني)، وحرية الإنترنت، والاستجابة للكوارث، واستخدام تقنيّات الشبكات في مناطق النزاع، وكبير مستشاري وزيرة الخارجية الأميركيّة هيلاري كلينتون للابتكار، ومنسّق اجتماعات لجنة سياسات الاتصالات والإعلام والتكنولوجيا في حملة باراك أوباما الانتخابيّة في العام 2008، ولاحقًا مستشار الرئيس، وزميل زائر في جامعة جونز هوبكنز وزميل كليّة الشؤون الدوليّة والعامّة في جامعة كولومبيا، وقد اختارته مجلة «فورين بوليسي» الأميركيّة ضمن قائمتها السنويّة لأفضل 100 مفكّر في العالم، وصنّفته صحيفة «هافينغتون بوست» ضمن «أحد العشرة البارزين في الحياة السياسيّة في الولايات المتحدة».

5 – مقابلة «أليك روس» مع موقع النشرة اللبنانيّ: أجراها مارسيل عيراني، بيروت في 01/12/2012 .

من أجل ما أسماه «تأسيس وتنمية منظمات المجتمع المدنيّ». تقوم الوزارة عبره بتمويل العديد من برامج التقنيّة من أجل دعم أدوات التخلّص من رقابة الحكومات على شبكة الإنترنت، والتي تهدف بالنهاية إلى إبقاء الهيمنة الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة للإدارة الأميركيّة منفردةً على كلّ مستخدمي شبكة الإنترنت، وحسب مشروع «فن الحكم والإدارة في القرن 21» (STATECRAFT 21ST)، المنشور على موقع وزارة الخارجيّة الأميركيّة، تتمثّل أهداف دعم هذه البرامج والتقنيّات في الآتي:

1 ـ إقامة مجتمع مدنيّ عالميّ.

2 ـ فتح الأسواق وتحرير الاقتصاد العالميّ في إطار العولمة.

3 ـ الحكومة الإداريّة الجيّدة، من أجل ضبط ومراقبة العمليّات الحكوميّة في العالم.

4 ـ العمل على تحقيق الهيمنة الثقافيّة والسياسيّة، من أجل الوصول إلى قيادة النظام الأميركيّ.

5 ـ تعميم نموذج وأسلوب الحياة الأميركيّة، ودمج الهويّات الثقافيّة والدينيّة، واختراق الهويّات العرقيّة في إطار اللغة التكنولوجيّة العالميّة والأميركيّة الموحّدة.

الأخطر من ذلك أنّ جميع هذه التأثيرات الاجتماعيّة لشبكات التواصل على تفكير الشباب تحصل بنحو لا إراديّ، أو ما يمكن التعبير عنه حسب «ماري نيمبورا ـ Mary W. Nyambura»[1] العمل بمبدأ «الرصاصة السحريّة»، التي «يتلقّى المستلم فيها الرسالة المقصودة كاملة، ويمارَس عليه التأثير بنحو غير مباشر عبر «حَقْن» الرسائل مباشرة إلى عقل الجمهور السلبيّ المنفعل»[2]،

1 – أستاذة مادة الصحافة والإعلام الجماهيري في جامعة نيروبي – كينيا.

2 – Mary W, Nyambura, (2020) Impact of social media platforms on family and household interactions in Limuru town, University of Nairobi.

يحصل ذلك -حسب «نيمبورا»- باستخدام آليّات عدّة، منها:

- تعزيز المنطق النسبيّ التفكيكيّ القائم على الشكّ وتجزئة الحقائق وازدراء الثوابت والأيديولوجيّات، وهذا ينتج بطريقة لا شعوريّة في اللاوعي نتيجة طريقة صناعة القيمة للمحتوى على الشبكة عبر الإجماع «الكميّ» للجمهور عليها.
- تنمية روح التمرّد على الموروث الدينيّ والاجتماعيّ؛ إذ إنّ كلّ شيء قابل للانتقاد أو النقاش على أساس من الهوى الشخصيّ أو الانسياق خلف العقل الجمعيّ بلا أيّ منهجيّة في النقد، أو مرجعيّة فكريّة أو ثقافيّة أو روحيّة[1]، لتكوين ما يسمى «الفرد الرقميّ الثوريّ المتمرّد على الأيدولوجيّات»[2].
- تحدّي القيم المحافظة، وعلى رأسها منع الاختلاط بين الجنسين الذي يعدّ نتيجة حتميّة لاستخدامهم وسائل التواصل الاجتماعيّ من دون رقيب.

أمَّا في مستوى جديد من التهديد، أُسِّسَ مشروع «الإنترنت الفضائيّ» الذي يمكّن شركات التكنولوجيا الأميركيّة من إيصال الإنترنت إلى كلّ مكان على وجه الأرض من دون الحاجة إلى الألياف الضوئيّة التي كانت تعطي سلطة من نوع ما للحكومات المحليّة، التي كانت تسمح بتدفق المعلومات أو قطع الإنترنت في الألياف الضوئيّة في حالة مخالفة شركات التكنولوجيا للقوانين المحليّة، فضلًا عن تجاوز المستقبِل الحاجة إلى استخدام أطباق لاقطة وتجهيزات خاصّة لالتقاط الإنترنت، بعد أن تمكّنت شركات التكنولوجيا بالفعل من إنتاج هواتف ذكيّة تعمل على شبكة الأقمار الصناعيّة القريبة من الأرض، وبتكلفة تشغيل لا تُذكر. وإذا وُجِدت الأدوات، حان وقت رفع العقبات؛ إذ إنّ كلّ هذا الجهد المبذول في التكنولوجيا والهندسة الاجتماعيّة لن يخطوَ خطوة

1 – نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة. – مجلّة عالم المعرفة – العدد 369 – 2009 ج 1 ص 15–25.
2 – علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربيّ، الدار العربيّة للعلوم – ناشرون، 2011، ص 7 – 11.

واحدة تجاه «الاختراق الثقافيّ» المنشود في المجتمعات المحافظة، إلّا مع نسخة جديدة من التديُّن، مثل «إسلام السوق»، «إسلام التنمية البشريّة»، «الإسلام الأميركّي».

ترويج الجهل.. ترويج «الإسلام الأميركيّ»

يقول أستاذ النظريّة الاجتماعيّة، د. علي ليلة[1] إنّ: «الدين بالضرورة عقبة أمام انتشار العولمة والاستعمار الثقافي، إذ إنّ الثقافة البديلة تجد دائمًا مقاومة شرسة في المجتمعات المحافظة من مبادئ الحلال والحرام»[2]. عندها تبدأ أولى خطوات «صراع الحضارات» عبر تصوير الالتزام الدينّي على أنّه تزمّت وتنطّع وتطرّف، وطرح التديُّن البديل الروحيّ الشكليّ المظهريّ، والذي يحوز على «إعجاب» الأكثريّة العدديّة من المستخدمين. لذلك يسهل في الشبكات الاجتماعيّة انتشار هذه النسخة من الإسلام والتديُّن الفرديّ الطقوسيّ المظهريّ، أو ما يُسمّى «الإسلام الأميركي»؛ حيث إنّ الخطاب ذا الطابع التحفيزيّ الشبيه بخطاب التنمية البشريّة يحمل معه ذاتيًّا آليّات انتشاره في أوساط الشبكات الاجتماعيّة التي تعتمد على الآليّات التي سبق ذكرها: التسطيح، ترجيح الشيوع الأكثريّ، تضخيم قيمة الفرد، ...

هذه القراءات المجتزأة للدين تناولتها دراسات إحصائيّة أثبتت[3] أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ في الأغلب تعكس صورة غير صحيحة عن المعتقدات الدينيّة بما يؤثّر سلبًا على الجوانب الأخلاقيّة للمستخدمين، ولا تتوقّف آليّات التضليل الدينّي والسياسيّ عند حجب قنوات أو شخصيّات بعينها من النشر في الفضاء الافتراضّي، أو الآليّات التي سبق ذكرها: التسطيح، ترجيح

1 – أستاذ النظريّة الاجتماعيّة في كليّة الآداب في جامعة عين الشمس وعضو المجلس العلميّ في المركز القوميّ للبحوث الاجتماعيّة والجنائيّة.

2 – علي ليلة، اختراق الثقافة وتبديد الهويّة، مكتبة الأنجلو مصريّة، 2017، ص 166.

3 – أمل محمّد بدر، الآثار الثقافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة لاستخدام الشباب الخليجيّ لشبكات التواصل الاجتماعيّ. مجلة الحكمة للدراسات الإعلاميّة والاتصاليّة، العدد (28)، الجزائر، ص 10 – 41. & أيمن أحمد محمد: شبكات التواصل الاجتماعيّ وأثرها على القيم الأخلاقيّة لجماعات الشباب الجامعي، مجلّة الخدمة الاجتماعيّة، العدد (54)، ص 15 –67.

الشيوع الأكثريّ، تضخيم قيمة الفرد، ... بل حسب دراسة[1]، إنّ إدارات مواقع الشبكات الاجتماعيّة تغضُّ نظرها بنحو متعمّد عن توظيف «برامج آليّة – BOTS»[2] لنشر معلومات مفبركة ومضلّلة في وسائل التواصل الاجتماعيّ عبر خوارزميّات الذكاء الاصطناعيّ[3].

الشبكات الاجتماعيّة والتديُّن الفرديّ

صاغ «براين ترنر ـ Bryan Turner»[4] في بحثه بعنوان «التديُّن والمجتمع الحديث»، تعريفه لـ«التديُّن الفرديّ» بقوله إنّ هذا التديُّن الجديد يتبع نمط: believing without belonging»[5]، بمعنى محافظة الإنسان المعاصر على معتقداته وإيمانه، لكن من دون ارتباط بالمؤسسات الدينيّة ومن دون انتماء، وهو نمط التديُّن الذي انتشر بالتزامن مع انتشار الشبكات الاجتماعيّة، وذكرت دراسات[6] ارتباطهما معًا عبر عوامل عدّة، هي:

- توهّم ارتفاع الرأسمال المعرفيّ بسبب انتشار أنماط الثقافة المعلّبة.
- فقدان الثقة في المؤسّسات الدينيّة الرسميّة بسبب الاستبداد، وتهميش المؤسّسات الدينيّة الشعبيّة بسبب فشل/أو إفشال حركات الإسلام السياسيّ.
- بروز نمط «الإعلام الدينيّ» عبر فاعلين جدد يمكن أن نسميهم «الدعاة الجدد».

1 – غسان مراد، هندسة المحتوى الرقمي في شبكات التواصل الاجتماعيّ: فصل من حروب الأجيال الجديدة (الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة / أيار 2021 نموذجًا)، مركز الجزيرة للدراسات، 2023/06/26.

2 – وهي تطبيقات برمجيّة تُشَغِّل نصوصًا آليّة عبر الإنترنت.

3 –غسان مراده، مصدر سابق.

4 – بروفيسور علم الاجتماع في جامعة كامبريدج، ورئيس فريق بحثيّ في قسم الأديان في المعهد الآسيوي للدراسات. (ويكيبيديا)

5 – Bryan S.Turner,"Religion and Modern Society: Citizenship, Secularization and the State", Cambridge University Press, New York, 2011.

6 – Balandier – Georges, sens et puissance, les dynamiquessociales, Quadrige, PUF, Paris, 4°édition, 2004.

وعرّفت الدراسة نوع العلاقة بين هذه العوامل الثلاث مع ظاهرتيّ «التديُّن الفرديّ» و «الشبكات الاجتماعيّة» بأنّها ليست علاقة من النوع البسيط على نحو النتيجة والسبب، بل إنّها جميعًا تُشكِّل ما يسميه ماكس فيبر «علاقة تجاذبيّة»[1]، لتتجلى ظاهرة «التديّن الفرديّ» على الشبكات الاجتماعيّة عبر نمطين أو قراءتين[2]، وهما:

- الأولى: القراءة الراديكاليّة: بما تحمله من الميل نحو الجذريّة أو التعصّب والتخندق[3]، لما يُغذّيه من خطاب هُوِيَّاتي محبّب إلى النفس، وما يلقيه في «المتلقّي» من صور ونماذج تحنُّ إلى ماضٍ يُوتوبيّ.

- الثانية: القراءة الليبراليّة: أو «إسلام السوق» بما يحمله من قيم الاستهلاكيّة الدينيّة[4]، أو ما يمكن أن نطلق عليه «سلعنة الدين» «Religion Commodification» باعتبار الإسلام وسيلة للنجاح الدنيويّ الفرديّ وتكوين الثروة.

وكردٍّ فعلٍ طبيعيّ على احتكار الدولة للمجال الدينيّ[5]، ظهرت نُخَب جديدة عملت على منافسة السلطات الدينيّة الرسميّة عبر المجال الذي أتاحته الشبكات الاجتماعيّة، ما أدّى تلقائيًّا إلى إعادة إنتاج المعرفة الدينيّة بنحو منفلت من كلّ أنماط الخطاب الدينيّ، سواء التديّن الحوزويّ أو الرسميّ (الأوقاف ـ دار الإفتاء) أو الطائفيّ، أو الحركيّ أو غيرها، ووضعت نمطًا جديدًا

1 – Max Weber, L'éthique protestante et l'esprit du Capitalisme « (,version numérique),les classiques des sciences sociales, préparé par, Jean–Marie Trembly.

2 – Hassan Rachik et Autres, Islam au quotidien, Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc, Editions Prologues, (Collection: Religion et Société), Casablanca, 2007).

3 – انظر في هذا الصدد: رول ميير، السلفيّة العالميّة: الحركات السلفيّة المعاصرة في عالم متغيّر، ترجمة: محمّد محمود التوبة (بيروت: الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، 2014م).

4 – رشيد جرموني، «سوسيولوجيا التحولات الدينيّة: التديّن الفرديّ نموذجًا»، م. س.

5 – وإن كانت المسألة ليست محلّ ابتلاء في لبنان والعراق، إلا أنّه في معظم دول العالم الثالث لا يمكن اعتلاء منبر أو عقد حلقة درس دينيّ من دون «تصريح» من السلطات.

يسمى اليوم بـ«الإعلام الدينيّ»[1]، وأنتجت نمط تديُّن جديد يمكن أن نطلق عليه نمط «التديُّن الفرديّ»، الذي ساهم في إبرازه وتضخيم تأثيره فشل (أو إفشال) تجارب حكم الإسلام السياسيّ[2].

يقول «رشيد جرموني» إنّ: «مفهوم التديّن الفرديّ جاء نتيجة طبيعيّة للتحولات الكبرى التي عرفها الحقل الدينيّ، وهو يعني أنّ «الفرد/المسلم»، خصوصًا الشاب، يصبح مرجعًا لنفسه في الاستمداد والتلقّي والممارسة والتوجيه والسلوك والتمثّل؛ إذ يسقط كلّ المرجعيّات والسلطة الدينيّة، سواء أكانت تقليدية كالمسجد والأسرة والزاوية، أو حركات الإسلام السياسيّ، أو غيرها من المؤسّسات الرسميّة أو غير الرسميّة التي كانت تنتج وتعيد إنتاج القيم الدينيّة. ويذهب «جرموني» إلى أنّ كلّ ذلك أفضى إلى بناء منظومة جديدة من القيم الدينيّة عند الشباب المسلمين -بنحو خاص- وعند الفتيات بصفّة تستحق كلّ المتابعة والاستكشاف. وقد كان لافتًا أن يتلقّى الجيل الحالي أطره المرجعيّة وتصوّراته وأفكاره عبر فئة من 'الدعاة' قدّمت خطابًا دينيًّا يركّز على القيم الفرديّة في التديّن، وكأنّ الشاب المسلم والشابة المسلمة يتديّنان في عالم منعزل عن الآخرين»[3].

يقول «باتريك هايني ـ Patrick Haenni»[4] في كتابه «إسلام السوق»: « إنّ ما يحدث هو إعادة صياغة «الرأسماليّة» بهدوء داخل هذا الفضاء الخاصّ عبر اشتقاقها إسلاميًّا، وفي النهاية ستخيب آمال أنصار «العولمة المحلية» وأولئك الذين يحلمون بقدرة الشعوب على الإبداع، وستُبنى في الواقع كونيّة إسلاميّة برجوازيّة مستوحاة

1 – رشيد جرموني، الدين والإعلام: في سوسيولوجيا التحولات الدينيّة، (المملكة العربيّة السعوديّة: مركز الدراسات والبحوث، الفيصل، سنة 2019م).

2 – تقرير التنمية الإنسانيّة العربيّة للعام 2016م: «الشباب وآفاق التنمية الإنسانيّة في واقع متغيّر»، برنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ، المكتب الإقليميّ للدول العربيّة».

3 – رشيد جرموني، مصدر سابق.

4 – عالم سياسة سويسري، حائز على جائزة أفضل أطروحة دكتوراه فرانكفونيّة حول العالم الإسلاميّ، مستشار لدى العديد من المؤسّسات والمنظّمات الدوليّة.

من أنماط الثقافة الاستهلاكيّة، تكرِّس التخلي عن استراتيجيّة التمايز الجذريّ لصالح عمليّات إعادة صياغة متواضعة، التي ستتبنّى في النهاية رؤية التنمية البشريّة الأميركيّة المتمركزة حول القيم البروتستانتيّة من تركيزٍ على النجاح الفرديّ وسعيٍ للثروة والنجاح الدنيوي»[5]. وبالتبعية، سيتبنى الشباب المسلمون في العالم الواقعي مقاربات من نوع «تكنوقراطيّة خالية من كلّ أيدولوجيا»، و«البراغماتيّة»، و«فصل الدين عن السياسة»، و«الحقيقيّ هو المفيد»، و«البقاء للأصلح»، و«ما ينفع الناس هو الأقوى»، مع التأكيد أنّ كلّ ذلك يجري داخل «العقل العربيّ المسلم» بنحو لا إراديّ ولا واعٍ.

ينقل «رشيد الجرموني» عن «أحمد توفيق»، وزير الأوقاف والشؤون الإسلاميّة المغربيّ، تعليقه على ظاهرة «الدعاة الجدد» على الشبكات الاجتماعيّة بقوله: «يجد المدمن على الوعظ الإلكترونيّ نفسه في حالة تشبه اليُتم، تقوِّي الشعور بالغبن والعزلة وتدفع إلى تضخيم الأنا وإلى الإعلاء المتطرّف للذات»[6]. هذا فضلًا عن ظواهر اجتماعيّة-فكريّة أخرى عبر «الحوار الديني» على الشبكات الاجتماعيّة، من قبيل زيادة معدلات الاستقطاب[7]، حيث تعرض الخوارزميّات على المستخدم منشورات تتوافق فقط مع اختياراته الدينيّة. فالمسيحيّ في الأغلب لن يرى إلّا منشورات عن دينه، والوهابيّ لن يرى إلا منشورات عن مذهبه، بالتالي يترسّخ لديه شعور أنّ «العالم» (إلّا ما شذّ وندر) يتبنّى رؤيته وخطابه، وعليه يعيش المتلقّي في فقاعات معرفيّة وعوالم منفصلة عن بعضها بعضًا دون أيّ فرصة للاختلاط والتثقّف الفكريّ، ما يؤدّي إلى زيادة معدلات الاستقطاب الطائفيّ والعِرقيّ، الذي ينتج بدوره مجتمعًا هشًّا ومحتقنًا وسريع الاشتعال[8].

5 – باترك هاييني، إسلام السوق، ترجمة: عومرية سلطاني، مدارات للأبحاث والنشر، 2015.

6 – رشيد جرموني، مصدر سابق.

7 – Lee, C., Shin, J., & Hong, A. (2018). Does social media use really make people politically polarized? Direct and indirect effects of social media use on political polarization in South Korea. Telematics and Informatics, 35(1), 245 - 254.

8 – van Stekelenburg, J. (2014). Going all the way: Politicizing, polarizing, and radicalizing identity offline and online. Sociology Compass, 8(5), 540 - 555.

من السيطرة الخفيّة إلى السيطرة المعلنة

كان استخدام برمجيّات التجسّس والاختراق من قبل بعض الحكومات والأجهزة الأمنيّة مخالفة صريحة للحقّ في الخصوصيّة، ويكون الكشف عنها بمثابة فضيحة لتلك الإدارات، ومن أشهر تلك الوقائع ما كشفت عنه تسريبات ضابط الاستخبارات الأميركيّ السابق «إدوارد سنودن ـ Edward Snowden» في العام 2013. أمّا الآن، فعبر خوارزميّات الشبكات الاجتماعيّة، وبمجرد تحليل مضمون حساب أحد المستخدمين، يمكن معرفة مجموعة كبيرة من المعلومات الحسّاسة عنه. وبواسطة خدمات موقع مثل:http://www.youarewhatyoulike.com/ الذي أعدّه باحثون في جامعتي: كامبريدج وبيركلي، يتّضح أنّ مجرّد تحليل الصفحات التي يُعجَب بها أي إنسان كفيل بأن يصنع تصوّرًا مكتملاً عن شخصيّته، فأول ما تتعرّف عليه الخوارزميّة ومشغليها هو الميول السياسيّة والدينيّة للشخص بنسبة دقة تفوق 80%، ثمّ تتعرّف على عرقه وجنسه بنسبة دقة تفوق 90%، بل إنّها يمكن أن تحدّد الأبناء الذين حثل الطلاق بين أهليهم وهم صغار بنسبة دقة تفوق 90%، ويمكن أن تحدّد المدخن أو شارب الكحول بنسبة 70% [1].

لنعد إلى الفضيحة التي ثارت في أميركا بسبب الخلاف على نتائج الانتخابات بين الحزبين الجمهوريّ والديموقراطيّ، والتي أدّت إلى انكشاف التحالف بين شركة فيسبوك وشركة كامبريدج أنالاتيكا وعملها على تغيير الميول التصويتيّة لعدد ضخم من الأميركيّين عبر الهندسة الاجتماعيّة، التي تعيدنا إلى تجارب باحث هو «مايكل ميرزنيتك ـ Michael Merzenich»[2]، أحد روّاد علم الأعصاب، الذي وصل إلى نتيجة مفادها أنّ

1 – مقال بعنوان: «فرويد بوك: خصالك من بروفايلك»، كتبه حمزة حرقوص، ع 2330، جريدة الأخبار اللبنانيّة نشر بتاريخ 17/06/2014 .

2 – أستاذ علم الأعصاب في جامعة كاليفورنيا.

الإنترنت لديه القدرة على إحداث تغيير أساسي في عقول مستخدميه، ما يؤدّي إلى إعادة برمجة المخ على نطاق واسع[1]، ومن آحاد الناس على المستوى الفرديّ إلى أوسع نطاق، نطاق الأمة[2].

في العام 2008، أعلنت موظفة في الخارجيّة الأميركيّة هي «كاتي ستاتون - Katy Staton»[3] أنّها تبحث عن شركات جديدة في دول العالم المختلفة شبيهة بتويتر. فحسب وصفها: «تويتر أثبت نفسه كعامل محفّز من أجل إثراء العمليّة التواصليّة بين محطات التلفزيون والجمهور؛ فأصبح لا توجد محطة لا تستخدم موقع تويتر منصّة أساسيّة في التفاعل مع الجمهور وتوصيل المعلومات لهم في أيّ مكان في العالم». لاحقًا، كشف تسريب صحافي من وكالة «أسوشييتد برس»[4] أنّ إعلان «كاتي» لم يكن إلّا خطوة ضمن خطّة للاستخبارات الأميركيّة لغزو كوبا بشبكة تسمى «زون زونيو»، والتي موّلتها USAID بطلب من CIA لتوجيهها إلى كوبا بهدف تشجيع المواطنين على القيام بحركات تمرّد سياسيّة وتنظيم الاحتجاجات، من أجل إسقاط نظام حكم الرئيس الكوبيّ «فيدل كاسترو ـ Fidel Castro»، أحد القادة السياسيّين الأكثر «إزعاجًا» للإدارة الأميركيّة.

في التوقيت نفسه تقريبًا، اعتملت في الخارجيّة الأميركيّة فكرة استخدام الشبكات الاجتماعيّة لتحفيز «حراك شعبيّ»، ولكن هذه المرة سُوِّقَت الفكرة تحت مسمى «استراتيجيّة الدبلوماسيّة الرقميّة»، على سبيل المثال في 2007

1 – ريتشارد واطسون، عقول المستقبل: كيف يغيّر العصر الرقميّ عقولنا، ترجمة: عبد الحميد محمّد دابوه، ص 14.

2 – آصف بيات، الحياة سياسة: كيف يغيّر بسطاء الناس الشرق الأوسط، ترجمة: أحمد زايد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014).

3 – «كاتي ستاتون»: مستشارة سابقة في وزارة الخارجية الأميركيّة ومديرة قسم الإعلام الدوليّ في شركة «تويتر» في عهد «هلاري كلينتون»، والمسؤولة سابقًا عن قسم التفاعل الجماهيري في البيت الأبيض.

4 – Associated press, technology cuba united states goverment.

في محاضرة لـ«جاريد كوهين ـ Jared Cohen»[1]، بعنوان «النساء والشباب والتغيّر في الشرق الأوسط ومفهوم الديموقراطيّة الرقميّة»، تحدّث قائلًا: «إنّ الشباب والنساء في الشرق الأوسط قد أصبحوا 'ناضجين' لاستقطاب التأثير الخارجيّ عبر المواقع التكنولوجيّة، والتي تشمل الهواتف المحمولة وشبكات التواصل الاجتماعيّ والإنترنت»[2]. لاحقًا، وبعد زيارة سبعين بلدًا، معظمها في العالمين العربيّ والإسلاميّ، وبعد بناء شبكة واسعة من العلاقات مع الشباب المؤثّرين، قام «كوهين» في العام 2008 بالإشراف على خطّة وضعتها وزارة الخارجيّة الأميركية تحمل عنوان: «تحالف الحركات الشبابيّة»، التي تهدف إلى استخدام المواقع الإلكترونيّة المستجدّة آنذاك مثل «فيسبوك» كأداة من أجل «تعزيز التنظيمات والنشاطات الشبابيّة ضدّ بعض الأنظمة». ثمّ بعد نجاح الموجة الأولى لـ«الربيع العربي» في العام 2011، انتقل «كوهين» للمشاركة في مجموعة العمليّات «الإيرانيّة ـ السوريّة» ISOG [3] لدعم «الثورة السوريّة»[4].

من جهة أخرى وفي التوقيت نفسه، كانت الحركات العقائديّة المنحرفة والحركات الإرهابيّة تستخدم وسائل التواصل الاجتماعيّ ذراعًا إعلاميّة عبر: إمّا التسويق لمشروعها، أو كمنصة إعلامية تستهدف بها الرأي العام المقابل عبر الحرب النفسيّة[5]؛ وذلك بسبب الكلفة المنخفضة و«التغافل» المتعمّد حينها

1 – «جاريد كوهين»، دبلوماسيّ أميركيّ من أصول يهودية، عُيّن بقرار من «كوندليزا رايس» رئيسًا لقسم التخطيط السياسيّ في وزارة الخارجيّة الأميركية في العام 2006 م واستمرّ في منصبه في عهد أوباما، ثمّ عمل مديرًا لتحالف المنظمات الشبابيّة.

2 – سكوت ريتر، «غارد كوهين مهندس الديموقراطية الرقميّة لتأليب الشباب الإيرانيّ»، نشرت الترجمة على موقع السفير.

3 – «Iran–Syria Operation Group»: هي مجموعةُ عملٍ مشتركةٍ بين هيئات مسؤولة عن التخطيط والتنفيذ لأعمال سريّة ضدّ إيران وسوريا بهدف تغيير نظام الحكم فيهما، أُنشئت في مطلع العام 2006م، وكانت عضويّتها تضم مندوبين عن: البيت الأبيض، وزارة الخارجيّة، وزارة الدفاع، وزارة الخزانة، ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، برئاسة ليز تشيني (نائبة الكونجرس وابنة نائب الرئيس الأميركيّ ديك تشيني) (ويكيبيديا)

4 – Boston.com, news world, us unit works quietly to counterirans away, 01 – 02 – 2007.

5 – استغلال مواقع التواصل الاجتماعيّ من قبل التنظيمات الإرهابيّة، بنعيسى عسلون، مجلة الإذاعات العربيّة، العدد الأول لسنة 2016 م.

من إدارات هذه الشبكات، حتى بلغ عدد حسابات تنظيم واحد «داعش»، بحسب إحصاءات[1]، مليونيّ حساب على شبكة الفيسبوك وحدها.

بعد انتهاء رئاسة «أوباما» وتقاعد «كوهين» من الخارجيّة الأميركيّة، انتقل إلى شركة «جوجل» في منصب مدير «قسم الأفكار»، وتفرّغ للتنظير في كتابه «العصر الرقميّ الجديد» لما أسماه نظرية «التكنولوجيا السياسيّة - Political Technology»، إذ يعترف في نصٍّ أنّ: «تكنولوجيا التواصل الاجتماعيّ تمثّل فرصةً لإحداث اختراقات ثقافيّة... وهو ما يبشّر باقتراب عصر جديد من العولمة؛ عولمة المنتجات والأفكار»[2].

إنّ شبكات التواصل الاجتماعيّ أضخم وأخطر جهاز تجسّس واستخبارات ابتكره الإنسان وعرفته البشريّة منذ فجر التاريخ.

شبكات «التجسّس» الاجتماعيّ

يقول «جوليان أسانج - Julian Assange»، مُسرِّب وثائق ويكي ليكس: «إنّ شبكات التواصل الاجتماعيّ أضخم وأخطر جهاز تجسّس واستخبارات ابتكره الإنسان وعرفته البشريّة منذ فجر التاريخ؛ لأنّ المستخدم للشبكة يتبرّع مجّانًا بوضع المعلومات والصور والفيديو والتعليقات والآراء عن ذاته، ودائرة زملائه، ومحيطه الاجتماعيّ، وهي معطيات غالبًا ما تكون مهمّة ومفيدة وموثوقة»[3].

يتأخّر الكيان الصهيونيّ كثيرًا عن تلقُّف الفرصة، فبعد أحداث «الربيع العربيّ»، أُسِّست وحدة «سينغ» ضمن وحدة «سلوك الجمهور» التابعة للوحدة المركزيّة لجمع المعلومات الاستخباريّة المعروفة بـ«8200»، ويترأّس الوحدة

1 - حازم سعيد، تنظيم داعش ما زال فاعلًا على شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ، المركز الأوروبيّ لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات، بتاريخ 2020/08/07م

2 - كتاب العصر الرقميّ الجديد: إريك شميدت، وغارد كوهين، ص 10-15.

3 - مقابلة مع «أسانج»، تسريبات ويكيليكس.

«شارون ميطال ـ Sharone Maital»[1]، أستاذة علم الاجتماع ورائدة فكرة «الاستخبارات الجماهيريّة»، والوحدة تضمّ عشرات الباحثين ممّن يعملون على التجسّس عبر المعلومات العلنيّة للمجتمعات المستهدفة، عبر رصد المصادر المفتوحة والشبكات الاجتماعيّة، بهدف: معرفة السجالات العامّة، وقياس الميول، وإجراء استطلاعات الرأي بأساليب مبتكرة، واستكشاف الجماعات والشخصيّات المؤثّرة في كلّ منطقة[2].

وتعمل فكرة «الاستخبارات مفتوحة المصدر – OSINT» على الاستخبار عن الأفراد عبر أساليب تحليل المعلومات المذكورة سابقًا، إضافة إلى:

- تحليل أنماط الإنفاق، ومحاولة استكشاف التفضيلات الحياتيّة والمشكلات الصحيّة والرغبات الخفيّة.
- تحليل شبكة العلاقات، ومعرفة عقد التأثير والأصدقاء المقرّبين والعداوات الشخصيّة لاستخدام هذه المعلومات.
- تحليل أماكن التردّد، عبر مراقبة التقييمات على شبكات التواصل الاجتماعيّ المختلفة.
- تحليل الانفعالات النفسيّة لاستكشاف الانحراف المناسب ونقاط ضعف الشخص المستهدف (عاطفي، نفسي، فكري، .. خلق الأعداء، ترسيخ الأفكار، ... إلخ).
- البحث اليوميّ عبر محركات البحث عن أيّ معلومات بخصوص هذا الشخص أو دائرة علاقاته، سواء ورد الاسم في أبحاث أو مستندات أو أخبار.

وحيثما كان هناك «إرهابيّ محتمل»، فجميع بياناته خاضعة لسلطة الإدارة الأميركيّة وأجهزتها الأمنيّة والتنفيذيّة، بموجب «القانون الأميركيّ لمكافحة

1 – أستاذ علم النفس في كليّة التربية، جامعة حيفا.

2 – خضر عواركة، «نيوميديا سلاح في خدمة أميركا وإسرائيل»، نشر في موقع الجزيرة بتاريخ 17 – 7– 2009.

استخدام الإرهابيّين للإعلام الاجتماعيّ - Combat Terrorist Use of So-cial Media Act of 2015»[1]، والذي كان بناءً عليه تقنين جميع الإجراءات المذكورة سابقًا والتوسُّع فيها بنحو كمّيّ.

السيطرة الجديدة: زواج البيانات الضخمة وأبحاث العلوم الاجتماعيّة

خلُص الباحث في دراسة بعنوان: «النيوليبراليّة والتحكّم الاجتماعيّ»[2] إلى أنّ: «'البيانات الضخمة Big Data' أداة 'سيكوسياسيّة ـ Psychopolitical' فائقة القوّة، توفّر تبصُّرات إلى ديناميكيّات التواصل الاجتماعيّ وأنماط السلوك الإنسانيّ، وتفتح بالتبعيّة فرص تطوير تقنيات الضبط أو التأثير على المجتمعات». على سبيل المثال، عبر رصد الأفكار والانفعالات المنثورة عبر الإنترنت، بواسطة: منشورات الشبكات الاجتماعيّة، برامج الدردشة، تسجيل المحادثات، ... تحوز «تقنيات الضبط» القدرة على دراسة استجاباتنا العاطفيّة واستغلالها، وبدلًا من تعريض المستخدم أو المجتمع للتوجيه بالهيمنة بواسطة التأديب أو التعنيف، كما كان يحدث في مؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة القديمة، تكون الهيمنة على الأفراد في الشبكات الاجتماعيّة بالجذب الحسيّ أو العاطفيّ والإدمان.

تأتي فعاليّة الفكر النيوليبراليّ في توظيف الشبكات الاجتماعيّة بسبب وجود مسانخة فكريّة. فالاثنان يحفزّان تجييش العواطف والانفعالات.

نجد في ورقة علميّة منشورة في العام 2015، باسم «طيف التحكّم The Spectrum of control»، قدّم باحثان[3] شرحًا لآليّة شبكة الرقابة والسيطرة التي تمنحها التقنيّات الذكيّة لـ«النخب» المسيطرة على قواعد

1 – أُقِرَّ في 16 كانون أول 2015.

2 – Philosophy Now, Neoliberalism and social control, 2020.

3 – البروفيسور «فرانك باسكال – Frank A. Pasquale» في جامعة ميريلاند والباحث «جاثان سادوسكي – Jathan Sadowski» في جامعة أريزونا.

البيانات عبر تحليل «البيانات الضخمة»، والتي تُجمع من الشبكات الاجتماعيّة عبر تقنيّات إحصائيّة وتحليليّة متقدّمة، ثم تُخزَّن في قواعد بيانات خاصّة ليُتعامل معها بأدوات وبرامج قواعد بيانات متخصّصة[1]، والتي لا تمتلك القدرة فحسب على مراقبة المواطنين أفرادًا أو مجتمعات، وإنما توقُّع تحركاتهم وردود أفعالهم أيضًا عبر نظم المعالجة والتحليل المتقدّمة[2].

كما تأتي فعاليّة الفكر النيوليبراليّ في توظيف الشبكات الاجتماعيّة بسبب وجود مسانخة فكريّة. فالاثنان يحفزّان تجييش العواطف والانفعالات؛ لأنّها بوّابة إلى ردود الفعل السريعة التي هي بوابة إلى التغيير السريع، كما أنّها تفتح الباب على حاجات جديدة ومجالات جديدة للاستهلاك. فعبر تحفيز الانفعالات، تجد الأفكار طريقها إلى ذاكرتنا بسهولة. ليس ذلك وحسب، لكنَّ الانفعالات أيضًا تحفّز ردود أفعال غريزيّة لا يمكننا ضبطها أو فهمها على نحو واعٍ، أو بتعبير الفيلسوف الكوري الألماني «بيونغ تشول هان - Byung-Chul Han»[3]: «إنّ السياسات السيكولوجيّة النيوليبراليّة تستحوذ على الانفعالات وتؤثّر على سلوكيّاتنا على المستوى الارتجاليّ. وباستخدام العاطفة، تدسّ نفسها عميقًا داخل الشخص، وبالتبعيّة تُمثِّل وسيطًا فعّالًا جدًّا للضبط السيكولوجيّ السياسيّ للأفراد»[4]. لذلك، نسبة عالية ممّن هم دون الخامسة والثلاثين أصبحوا لا يشاهدون التلفزيون مكتفين بالمواد السمع-بصرية على منصّات التواصل الاجتماعيّ؛ لأنّها تقدّم لهم على هيئة «ومضات سريعة»[5].

1 – Seref Sagiroglu, Duygu Sinanc, «Big data: A review,» International Conference on Collaboration Technologies and Systems, (2013): 42 – 47.

2 – Jathan Sadowski, Frank A. Pasquale: “The Spectrum of Control: A Social Theory of the Smart City”, First Monday, vol. 20, no. 7 (July 2015).

3 – فيلسوف ومنظّر ثقافيّ كوريّ سويسريّ ألمانيّ. كان أيضًا أستاذًا في جامعة برلين للفنون، وعضو في هيئة التدريس في جامعة كارلسروه للفنون والتصميم، متخصص في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، والأخلاق، والفلسفة الاجتماعيّة، والفينومينولوجيا، والنظريّة الثقافيّة، والجماليّات، والدين، نظريّة الوسائط، والفلسفة بين الثقافات. (ويكيبيديا)

4 – شول هان بيونغ، السياسة السيكولوجيّة: الليبراليّة الجديدة والتكنولوجيّات الجديدة للسلطة، دار فيرسو، 2017، ص 59

5 – مركز الجزيرة للدراسات وقسم الإعلام في جامعة قطر مؤتمرًا بحثيًّا، يومي 1 و2 آذار 2023، تحت عنوان

الشبكات الاجتماعيّة والرقابة المسيّسة

لم يفلت المجتمع الأميركّي مع كلّ دعاية الحقوق والحريّات، من مقصّ الرقيب حتى على الشبكات الاجتماعيّة، فقد رصدت دراسة لمركز «برينان» للعدالة في كلية القانون في جامعة نيويورك قيام المدن والمقاطعات ووكالات إنفاذ القانون في الولايات المتحدة بإنفاق 5.7 مليارات دولار على «تكنولوجيا مراقبة الإعلام الاجتماعّي ـ Social media monitoring technology»، وذلك بهدف تتبّع وأرشفة معلومات ملايين المستخدمين وأنشطتهم، التي استُخدِمت لاحقًا لأغراض أمنيّة أو سياسيّة، منها، على سبيل المثال لا الحصر:

- ما تسرّب من معلومات عن قيام وزارة العدل والشرطة في مدينة أوكلاند في ولاية كاليفورنيا بمراقبة شخصيّات بارزة في حركة «حياة السود لها قيمة ـ Black Live Matters» على شبكة تويتر.
- في العام 2016، عندما قامت أكثر من 70 جماعة حقوقيّة أميركيّة بتوجيه رسالة إلى إدارة فيسبوك يتهمونها بالحذف الممنهج للمنشورات التي تُوثِّق انتهاكات حقوق الإنسان في أميركا، وحذف كلّ محتوى يُوثِّق لعنف الشرطة الأميركيّة، زاعمين أنّ الحذف والرقابة وراءها «شبهات» سياسيّة.
- في العام 2018، عندما حذفت إدارة فيسبوك الصورة الشهيرة التي تعود إلى العام 1972 للطفلة الفيتناميّة الهاربة من القصف الأميركّي بالنابلم من حساب رئيسة وزراء النرويج «إيرنا سولبرج ـ Erna Solberg»، بزعم أنّ الطفلة «عارية».

أمّا الأمثلة خارج أميركا، خاصّة في العالمين العربيّ والإسلاميّ، فهي أكثر من أن تُحصى:

- في تشرين أول من العام 2015، قام اليوتيوب بحذف قناة حركة حماس

«شبكات التواصل الاجتماعي والاستقطاب الأيديولوجي: علاقات القوة والتأثير الثقافي والاجتماعي».

بناءً على طلب من الخارجية «الإسرائيليّة».

- في نيسان من العام 2016، أغلق تويتر حساب المتحدّث الرسميّ باسم كتائب القسّام.
- في كانون ثاني من العام 2017، أغلق فيسبوك 90 صفحة تابعة للمقاومة الفلسطينيّة.
- تلقائيًّا يقوم فيسبوك بحظر حسابات فلسطينيّة ورسوم كاريكاتير مناهضة لـ«إسرائيل» باعتبارها محتوى يحرّض على العنف.
- إلى أن بلغ الحظر على الشبكات الاجتماعيّة حدّ حظر تداول أفكار أو كلمات أو صور، بل وحظر شخصيّات بعينها كأنّها محاولة لإلغاء هذه الشخصيّات من التاريخ ومحوها من الذاكرة. فنشْر أيّ صورة أو اقتباس أو حتى ذكر اسم «حسن نصر الله» أو «قاسم سليماني» أو «أبو مهدي المهندس» أو «الحشد الشعبيّ» أو «حزب الله» ...

في حزيران من العام 2017، أعلنت شركات فيسبوك ومايكروسوفت وتويتر ويوتيوب عن تأسيس «منتدى الإنترنت العالميّ لمكافحة الإرهاب»، وهو مبادرة لبناء شراكات لمكافحة «المحتوى الإرهابي»، ما أثار تساؤلات عن هويّة الجهة/ الشخص الذي يحدد الحدّ الفاصل والتعريف الدقيق لما يمكن أن نتعامل معه كمحتوى إرهابيّ، وطبقًا لأيّ معيار!. لم تتأخّر الإجابة إلّا بضعة أشهر؛ حين أتت في شكل قرار تعيين «توكل كرمان»، الناشطة اليمنيّة الداعمة للثورات الملوّنة، عضوًا في «مجلس حكماء الفيسبوك»، وهو المجلس المنوط به تحديد شكل المحتوى «المقبول» في الشرق الأوسط، عبر الإشراف على الموقع والبتّ في المضمون الخلافيّ للمنشورات على موقع التواصل الاجتماعيّ[1].

1 – Over Sight Board, our commitment.

خاتمة

يرى الإمام القائد السيّد علي الخامنئي (دام ظلّه) أنّ هناك: «تأثيرًا واسعًا للأجواء الافتراضيّة باعتبارها قوّة ناعمة متميِّزة في الصعد المختلفة، بما فيها الثقافة والسياسة والاقتصاد، ونمط المعيشة، والإيمان، والعقائد الدينيّة والأخلاق السامية، وهناك ضرورة للتخطيط المناسب والدقيق لصناعة الحدود الأمنيّة والفكريّة والأخلاقيّة للمجتمع على هذا الصعيد»[1]. حيث إنّه من الفضاء الافتراضّي إلى مخيلة المتلقي، إلى السلوك العملّي، تنتقل القيم والأفكار فتتحوّل مجموعة أكواد برمجيّة إلى «ثورات قيميّة»، ذات تأثيرات عمليّة جذريّة. يقول «الشهيد مرتضى مطهري»: «إنَّ طريقة تفكير الإنسان وعقيدته حول العالم، والوجود، والله، والمادّة، والروح، تؤثِّر تأثيرًا مباشرًا على سلوكه في الحياة، فطريقة عمل أيّ فرد في الحياة ترتبط ارتباطًا تامًّا بكيفيَّة نظرته ونوعها عن الكون»[2].

1 – الإمام الخامنئيّ أثناء استقباله رئيس وأعضاء المجلس الأعلى للأجواء الافتراضيّة (الإنترنت)، نشر بتاريخ: 07/09/2015.

2 – مرتضى مطهري، محاضرات في الفلسفة الإسلاميَّة، نقله إلى العربيّة عبد الجبّار الرفاعي، دار الكتاب الإسلاميّ، ط1، 1415هـ، ص32.

توصيات/ اقتراحات/ نماذج حلول

حلول فرديّة

حسب الدراسات، لا توجد وسيلة لمواجهة التحدّيات الثقافيّة المتعلّقة بثورة تكنولوجيا الاتصال في مجتمعاتنا الإسلاميّة إلا عبر الأسرة[1]، فأضعف الإيمان أن تؤجّل الأسرة امتلاك أبنائها أجهزة اتصال ذكيّة أو امتلاك وصول إلى شبكات التواصل الاجتماعيّ، إلّا بعد تحصينهم على المستويين الاجتماعيّ والدينيّ؛ لما ثبت بالتجربة والدليل العلميّ رصد التأثير السلبيّ لشبكات التواصل على فطرة ونفسيّة وعقائد الشباب المسلمين. فعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، قال: «ما من مولود يولد إلّا على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه ويُنصّرانه ويُمجّسانه...». ويقول الشيخ «مصباح اليزدي»: «لا أحد يستطيع أن يُنكر أصل تأثير البيئة الاجتماعيَّة ونفوذها في تكوين شخصيَّة كلّ واحد من أفراد الإنسان، وإنَّ هذا التأثير والنفوذ عميق وشامل بالنسبة إلى الأكثريَّة الساحقة من الناس، فلا ريب في أنّ الفرد في كثير من الأحيان تابع ومحكوم لإرادة المجتمع»[2].

وعلى الرغم من وجود العديد من الفوائد المهمّة للشبكات الاجتماعيّة، مثل: توسعة دائرة المعارف، وبناء العلاقات المهنيّة، وإمكانيّة البحث عن عمل، وتبادل الخبرات والنصائح حول قضايا، وإمكانات الإعلام الحرّ في كشف الفساد (Whistle Blowers)، إلّا أنّ معظم هذه الفوائد لا تدخل في دائرة اهتمام الشباب والمراهقين. لذلك، فإنّ قيام الأسرة بتقنين أو حظر الشبكات الاجتماعيّة على المراهقين، حتى اكتمال تنشئتهم الاجتماعيّة في مؤسّسات التنشئة التقليديّة هو الخيار العقلانيّ الوحيد لصالح صحتهم النفسيّة والجسديّة وأمنهم الفكريّ، أو على الأقلّ «إجبار» الآباء أبناءهم الالتزام بفترات زمنيّة محددة

1 – حنان محمّد عبد المجيد، علاقة شبكات التواصل الاجتماعيّ بنمط العلاقات الأسريّة،بحث نشر في مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ في الإسلام، ج4 ص211.

2 – محمّد تقيّ مصباح اليزدي، النظرة القرآنيَّة للمجتمع والتاريخ، دار الروضة، بيروت طبعة العام 1996، ص49.

(تحت الساعتين) على الشبكات الاجتماعيّة عبر التطبيقات المخصّصة لذلك. وأن يكون التصفّح على مواقع التواصل الاجتماعيّ خاضعًا للرقابة الكاملة عبر امتلاك الأبوين إمكانيّة الدخول إلى حساب الابن في أيّ وقت.

حلول أهليّة

- أن يُفرض على مزوّدي الإنترنت ضمن مناطق الأكثريّة المهتمّة أن يضبطوا إعدادات فلاتر DNS من أجل حجب المواقع الإباحيّة. مثال: (https://cleanbrowsing.org/filters/)
- تأسيس مراكز رصد ومكافحة الشائعات ومحاصرتها على مستوى كلّ قطاع وعلى مستوى الدولة.
- إنشاء ودعم مراكز التحقّق من المعلومات fact checkers، خاصّة في ما يتعلّق بالتشيّع أو بمحور المقاومة.
- إنشاء خوادم أرشفة للصور ومواد الفيديو التي تحذفها الشبكات الاجتماعيّة بدعوى مخالفتها للسياسات، حتى تكون متاحة لجنود جهاد التبيين مع فهرستها ووسمها بالكلمات المفتاحيّة المناسبة لتنزيلها على أجهزتهم بطريقة يسهل استخدامها في وظيفتهم الشرعيّة.
- تسليح علماء الدين بالدورات العلميّة لإدارة صفحاتهم ومواقعهم على الشبكات الاجتماعيّة بالشكل الذي يحقّق أكبر وصول إلى الفئات الشبابيّة، وتقديم الدعم الماديّ والتقنيّ لعلماء الدين، لتوثيق صفحاتهم وإنتاج مقاطع مرئيّة بمستوى احترافيّ.
- تصميم برامج الوقاية وبرامج التحكّم في استخدام الأجهزة المحمولة للأطفال والأسر ومؤسّسات التعليم وعمل برامج توعية عن كيفية تنصيب وتشغيل هذه البرامج.

- عمل برامج توعية في المدارس توضّح للأطفال أنّ المحتوى المنشور (الصور والفيديو) لمؤثّرين أو حتى زملاء على صفحاتهم في الشبكات الاجتماعيّة هي صور مجتزأة من الواقع، وليست الحقيقة كلّها.
- على المستوى الجامعيّ، التوعية بتسييس منصّات التواصل الاجتماعيّ وعملها على نشر الأفكار المعادية للإسلام وللقيم المحافظة.
- دعم صناعة شبكات اجتماعيّة بديلة.
- دعم صناعة محتوى هادف منافس بعوامل الجذب الموجودة نفسها في المحتوى الآخر غير الهادف.
- إنشاء مراكز استخدام تقنيّات مراقبة المحتوى: وهي حلول تقنيّة وخدمات تنتجها شركات الاستشارات التكنولوجيّة، تقوم برصد محتوى الإعلام الاجتماعيّ social media data mining، وجمع المعلومات عبر المنصّات المختلفة، إلى جانب تحليل تلك المادة، واستخراج المؤشّرات منها بطريقة فوريّة وآليّة عبر محرّكات تحليل النصوص text analytic engines.
- التعاون بين المتخصّصين في العلوم الاجتماعيّة وعلوم الحاسوب لتطوير مزيد من البرامج التي تفيد في التعامل مع البيانات الضخمة لغايات بحثيّة، خاصّة باللغة العربيّة.

حلول على مستوى الدولة

دراسة تجربة الصين في التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعيّ، فقد وضعت الحكومة الصينيّة شروطًا لاستخدام الشبكات الاجتماعيّة المحليّة باستعمال الأسماء الحقيقيّة، ويكون الدخول ببطاقة الهويّة الوطنيّة، وعدم محاكاة ألقاب لشخصيّات مشهورة أو السخرية منها، أو تدشين حسابات تدعو للإرهاب، أو حسابات تروّج للعب القمار، أو العنف، أو الإباحيّة، أو نشر الأخبار الكاذبة أو

الشائعات، وتُعطى مهلة معيّنة لأصحاب الأسماء المستعارة لتغييرها، وفي حال عدم تغييرها تُغلق حساباتهم الشخصيّة، ويُشرَّع قانون يلزم تشغيل خوارزميّات التواصل الاجتماعيّ لاشتراط الاحتفاظ ببيانات مواطنيها في سيرفرات داخل أراضي البلاد، أسوة بباقي الدول، وفي حالة عدم الامتثال لمنع هذه الشبكة من النشر داخل الدولة:

- الضغط لمشاركة الدولة في تشريعات ما يُعرف باسم «الصالح العام الرقميّ Digital Public Good "DPG"»، المدعومة من منظمة UNICEF.
- تأسيس جمعيّة أو توجيه كليّات الآداب في الجامعات العربيّة لإنشاء قسم خاص للعناية باللغة العربيّة في مستواها الرقميّ، وبناء معجم رقميّ عربيّ، يسهّل للعربيّة الاندماج في مجتمع المعرفة الرقميّة، وابتداع الحلول للمشكلات التي تواجه الباحثين في تحليل نصوص ومضامين الشبكات الاجتماعيّة العربيّة.
- القيام بترجمات لأهم المراجع والمصادر العلميّة حول المناهج الرقميّة الحديثة.
- تدريس مقرّرات خاصة بتحليل الشبكات الاجتماعيّة في الجامعات العربيّة.
- عمل قطاع خاصّة في نقابات الصحافيّين والإعلام تضمّ المؤثرين ممّن لديهم عدد يعتدّ به من المتابعين ومحاولة التواصل معهم بنحو مستمرّ.

التوصيات

- التوسّع في الدراسات الإحصائيّة عن استخدام الشبكات الاجتماعيّة بين طلّاب المدارس والجامعات دوريًّا.
- التوسّع في الدراسات الإكلينيكيّة والاجتماعيّة والنفسيّة لتأثيرات الشبكات الاجتماعيّة سواء الدراسات الوصفيّة أو التحليليّة.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر العربية

1. إريك شميدت، وغارد كوهين: كتاب العصر الرقميّ الجديد، الدار العربية للعلوم، 2018 م.

2. آصف بيات: الحياة سياسة، كيف يغيّر بسطاء الناس الشرق الأوسط، ترجمة: أحمد زايد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014 م).

3. الإمام السيد علي الخامنئيّ أثناء استقباله رئيس وأعضاء المجلس الأعلى للأجواء الافتراضيّة (الإنترنت)، نشر بتاريخ: 2015/09/07 م.

4. أماني عمر حافظ: الإعلام والمجتمع، أطفال في ظروف صعبة ووسائل إعلام مؤثّرة، القاهرة: عالم الكتب، 2005 م.

5. أمل محمّد بدر: الآثار الثقافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة لاستخدام الشباب الخليجيّ لشبكات التواصل الاجتماعيّ. مجلّة الحكمة للدراسات الإعلاميّة والاتصاليّة، ع (28)، الجزائر، 2015 م.

6. أمين سعيد عبد الغنيّ: تأثير استخدام الانترنت على القيم والاتجاهات الأخلاقيّة للشباب الجامعيّ، المؤتمر العالميّ السنويّ السابع، كليّة الإعلام، جامعة القاهرة، الجزء الرابع، أيار 2003 م.

7. أنور الرواس، وعبيد الشقصي، وعماد صالح، وعبد الوهاب الحايس: أثر وسائل الإعلام الجديدة على التنشئة الاجتماعيّة - دراسة ميدانيّة على عينة من طلاب المدارس في سلطنة عمان (مايو/أيار 2015 م) (تقرير نهائي صادر من جامعة السلطان قابوس).

8. أيمن أحمد محمّد: شبكات التواصل الاجتماعيّ وأثرها على القيم الأخلاقيّة لجماعات الشباب الجامعي، مجلّة الخدمة الاجتماعيّة، ع (54)، 2015 م.

9. باترك هاييني: إسلام السوق، ترجمة: عومرية سلطاني، مدارات للأبحاث والنشر، 2015 م.

10. بايوسف مسعودة: الهويَّة الافتراضيَّة - الخصائص والأبعاد، مجلّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، عدد خاص الملتقى الدوليّ الأوَّل حول الهويَّة والمجالات الاجتماعيَّة في ظلّ التحوَّلات السوسيوثقافيَّة في المجتمع الجزائريّ، 2011 م.

11. بسام عبد الرحمن المشاقبة: نظريّات الاتصال، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2011 م.

12. بن عيسى عسلون: استغلال مواقع التواصل الاجتماعيّ من قبل التنظيمات الإرهابيّة، مجلة الإذاعات العربيّة، العدد الأول لسنة 2016 م.

13. تقرير التنمية الإنسانيّة العربيّة للعام 2016 م: «الشباب وآفاق التنمية الإنسانيّة في واقع متغيّر»، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليميّ للدول العربيّة».

14 . جان بودريار: المجتمع الاستهلاكيّ، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995 م.

15 . حازم سعيد: تنظيم داعش ما زال فاعلًا على شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ، المركز الأوروبّي لدراسة مكافحة الإرهاب والاستخبارات، بتاريخ 2020/08/07 م.

16 . حبيبة بوغي: رسالة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال بعنوان: مظاهر الاغتراب الثقافيّ في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك نموذجًا)، من جامعة محمّد بوضياف، سنة 2017 م.

17 . حسن عماد مكاوي: الاتصال ونظريّاته المعاصرة، ط4، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، 2003 م.

18 . حلا أحمد: ظاهرة الاغتراب المجتمعّي وانعكاساتها، دراسة نشرت في المعهد المصريّ للدراسات، بتاريخ 2018/12/24م.

19 . حنان محمّد عبد المجيد: علاقة شبكات التواصل الاجتماعيّ بنمط العلاقات الأسريّة، بحث نشر في مؤتمر ضوابط استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ في الإسلام، 2021 م.

20 . دراسة بعنوان: «إدمان الانترنت يؤثر على الدماغ»، نشرت على موقع الجزيرة بتاريخ 2012/01/12 م.

21 . دراسة بعنوان: «الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعيّ يضعف الذكاء»، مصدرها صحيفة DailyMail، منشورة على موقع قناة روسيا اليوم بتاريخ 5/2/2014.

22 . دراسة تربط بين إدمان وسائل التواصل الاجتماعيّ وزيادة معدلات التدخين واستهلاك الكحول، تقرير على موقع «توداي زامان»، 2014.08.05م. -نقلًا عن: مركز الحرب الناعمة للدراسات: شبكات التواصل الاجتماعّي: منصّات الحرب الأميركيّة الناعمة.

23 . دراسة لمؤسسة GLOBAL WEB INDEX بعنوان: «ما الدول التي يقضي سكانها أطول الأوقات على مواقع التواصل الاجتماعي؟»، منشورة على موقع بي بي سي بتاريخ 2019/09/10.

24 . دراسة منشورة في الجارديان البريطانيّة بعنوان: «فيسبوك والشبكات الاجتماعيّة تؤدّي إلى النرجسيّة» - نقلًا عن موقع جريدة العين الأردنيّة عدد يناير/كانون ثاني 2013 م.

25 . رشا أبو زكي: مواقع التواصل الاجتماعيّ.. خطر على الشركات، جريدة الأخبار، العدد 1799، 2012/09/04 م.

26 . رشيد جرموني: «سوسيولوجيا التحولات الدينيّة: التديّن الفرديّ نموذجًا»، بحث منشور على موقع (مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 31 أكتوبر/تشرين 2015)

27 . رشيد جرموني: الدين والإعلام في سوسيولوجيا التحولات الدينيّة، (المملكة العربيّة السعوديّة: مركز الدراسات والبحوث، الفيصل، سنة 2019 م).

28. رول ميير: السلفيّة العالميّة، الحركات السلفيّة المعاصرة في عالم متغيّر، ترجمة: محمّد محمود التوبة (بيروت: الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، 2014 م).

29 . رولا الحمصي: «إدمان الإنترنت وعلاقته بمهارات التواصل الاجتماعّي»، دراسة ميدانيّة في 2010 على عيّنة من طلاب جامعة دمشق في رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا،2011 م.

30 . ريتشارد واطسون: عقول المستقبل، كيف يغيّر العصر الرقميّ عقولنا، ترجمة: عبد الحميد محمّد دابوه، 2020 م.

31 . زينب إبراهيم عقيل، التبليغ الدينيّ على فيسبوك تجربة مبلّغي حزب الله نموذجًا، الجامعة اللبنانيَّة كليَّة الإعلام والتوثيق، بيروت، مم.

32 . سماح حسين القاضي: تلفزيون الواقع ونشر الثقافة الاستهلاكيّة. عمّان: المكتبة الوطنيّة، 2011 م.

33 . سوزان غرينفيلد: تغيّر العقل، كيف تترك التقنيَّات الرقميَّة بصماتها على أدمغتنا، نشر مجلة عالم المعرفة، 2017 م.

34 . سوزان غرينفيلد: تغيّر العقل، كيف تترك التقنيَّات الرقميَّة بصماتها على أدمغتنا، نشر مجلة عالم المعرفة 2017 م.

35 . سيّد علي شيتا: نظريّة الاغتراب من منظور علم الاجتماع، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1984 م.

36 . شبكات التواصل الاجتماعيّ... تهديد لوعينا وتلاعب بعقولنا، حسين عمارة، مقال نشر على شبكة «France 24»، بتاريخ 2016/4/13 م.

37 . شقيقة مهري: الظاهرة الإعلاميّة المعاصرة في صورتها التلفزيونيّة: بين نظريّة الغرس الثقافي وأساليب والوقاية من الإدمان. مجلّة الكلمة، 2014 م.

38 . شول هان بيونغ: السياسة السيكولوجيَّة: الليبراليَّة الجديدة والتكنولوجيّات الجديدة للسلطة، دار فيرسو، 2017 م.

39 . الشيماء أبو الخير: ظاهرة البلوجر، مقال على موقع صدى البلد، 2022/12/14 م.

40 . صادق عباس الموسوي: التنشئة الاجتماعيّة والالتزام الدينيّ، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، 2017 م.

41 . عاطف محمّد النجار: مخاطر وسائل التواصل الاجتماعيّ على الأسرة، وتصوّر مقترح للممارسة العامّة للخدمة الاجتماعيّة للتخفيف عنها. مجلة الخدمة الاجتماعيّة، 2008 م.

42 . عباس صادق: الإعلام الجديد ـ المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق ـ بيروت، 2008 م.

43 . عبد الإله بلقزيز: العولمة والهويّة الثقافيّة، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ العرب والعولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2010 م.

44 . عبد القادر أحمد العبيد: فاعليّة مواقع التواصل الاجتماعيّ في توجيه الرأي العام، دار البداية، 2017 م.

45 . عبد الوهاب الرامي: الإشكالات المنهجيَّة في دراسة الشبكات الاجتماعيّة الرقميّة وسبل التغلّب عليها، المعهد العالي للإعلام والاتصال في المغرب، ورقة مقدّمة للمؤتمر الدولي «وسائل التواصل الاجتماعي التطبيقات والإشكالات المنهجيّة»، كليّة الإعلام والاتصال في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميَّة بتاريخ 2015/03/10 السعودية.

46 . عزت حجازي: الشباب العربيّ والمشكلات التي يواجهونها، 1970 م.

47 . عفاف محمّد زهو: الإفراط في استخدام شبكات التواصل الاجتماعيّ وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعيّة: دراسة ميدانيّة مطبّقة على أمهات طالبات المرحلة المتوسطة في منطقة الباحة. مجلة كلية التربية، ع (28)، 2017 م.

48 . علي حرب: ثورات القوة الناعمة في العالم العربيّ، الدار العربيّة للعلوم ـ ناشرون، 2011 م.

49 . علي لفتة العيساوي: الفيسبوك.. الوطن البديل للشباب، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيّة، النجف الأشرف،2021م.

50 . علي ليلة: اختراق الثقافة وتبديد الهويّة، مكتبة الأنجلو مصريّة، 2017 م.

51 . علي محمّد بن فتح محمّد: رسالة ماجستير بعنوان «مواقع التواصل الاجتماعيّ وآثارها الأخلاقيّة والقيميّة، قسم الدعوة والثقافة الإسلاميّة، جامعة أم القرى ـ السعودية، 2016 م.

52 . عماد يوسف: مفهوم الاستلاب العقليّ الفكريّ والثقافيّ رؤيا في نهج الاستلاب، نشر في 2011/02/08، موقع الحوار المتمدن.

53 . عواطف محمّد خضرة: التوجيه والإرشاد التربويّ المعاصر، عمّان: الأكاديميّون للنشر والتوزيع، 2013 م.

54 . غسان مراد: هندسة المحتوى الرقمي في شبكات التواصل الاجتماعيّ: فصل من حروب الأجيال الجديدة (الحرب الإسرائيليّة على قطاع غزة مايو/أيار 2021 نموذجًا)، مركز الجزيرة للدراسات، 2023/6/26 م.

55 . فتحي حسين عامر: علم النفس الإعلاميّ. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2012 م.

56 . فريدة صغير عباس، وآمال سي موسى: شبكات التواصل الاجتماعيّ كفضاء مستحدث لتشكل الاغتراب النفسيّ – نحو اعتزال الواقع والعيش في الافتراضي-، دراسة نشرت في المجلة الجزائريّة للأبحاث والدراسات، العدد 9/ السنة 2019 م.

57 . فضيل ديلو: التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال (المفهوم ـ الاستعمالات ـ الآفاق)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 2010 م.

58 . كمال حميدو: الإعلام الاجتماعّي وتحوّلات البيئة الاتّصاليَّة العربيَّة الجديدة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2018 م.

59 . لمياء طالة: الإعلام الفضائيّ والتغريب الثقافيّ، دار أسامة للنشر والتوزيع، 1970 م.

60 . لويزة حسروميا وفطيمة دريد: جودة العلاقات الوالديّة مع الأبناء في ظلّ تأثيرات مواقع التواصل الاجتماعّي: موقع يوتيوب نموذجًا: دراسة ميدانيّة في مدينة باتنة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع (33)، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر، 2018 م.

61 . مانويل كاستلز: شبكات الغضب والأمل ـ الحركات الاجتماعيّة في عصر الانترنت، ترجمة: هايدي عبد اللطيف، نشر في المركز العربيّ للأبحاث والسياسات، بتاريخ آذار/مارس 2018 م.

62 . المباني الفكريّة لوسائل التواصل الاجتماعيّ، إعداد مركز المعارف للدراسات الثقافيّة، لبنان ـ بيروت،

2021 م.

63 . مجلة نجاة ـ العدد (41) ـ بيروت ـ حارة حريك شتاء 2016 م.

64 . محمّد إبراهيم عيد: أزمات الشباب النفسيّة، القاهرة، مكتبة الزهراء.

65 . محمّد تقيّ مصباح اليزدي: النظرة القرآنيَّة للمجتمع والتاريخ، دار الروضة، بيروت طبعة العام 1996 م.

66 . محمّد عابد الجابري: «العولمة والهوية الثقافيّة: عشر أطروحات»، المستقبل العربي، (المجلد 20، العدد 228، 28 فبراير/شباط 1998 م).

67 . محمّد عبد الحميد: نظريّات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة: عالم الكتاب، 2004 م.

68 . مرتضى مطهري: محاضرات في الفلسفة الإسلاميَّة، نقله إلى العربيّة عبد الجبّار الرفاعي، دار الكتاب الإسلاميّ، ط1، 1415هـ.

69 . معجم اللغة العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج2.

70 . مقال بعنوان: «القوة السيبرانية»، جوزيف ناي، نشر جامعة هارفاد، 2010 م.

71 . مقال بعنوان: «فرويد بوك: خصالك من بروفايلك»، كتبه حمزة حرقوص، ع 2330، جريدة الأخبار اللبنانيّة نشر بتاريخ 2014/06/17 م.

72 . مقالة: «غارد كوهين مهندس الديموقراطية الرقميّة لتأليب الشباب الإيرانيّ»، كتبها سكوت ريتر.

73 . مقالة: «نيوميديا سلاح في خدمة أميركا وإسرائيل»، خضر عواركة، نشر في موقع الجزيرة:

74 . منال عبده محمّد منصور: التأثيرات المترتّبة على استخدام الشباب الجامعيّ لمواقع الفيسبوك، المجلة المصريّة لبحوث الرأي العام، العدد السابع والثلاثون، (يناير ـ يونيو) 2011 م.

75 . منظمة الأمم المتحدة للطفولة: الأطفال في العالم الرقمي، تقرير حالة أطفال العالم، 2017 م.

76 . نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة، مجلّة عالم المعرفة، ع 369/ ج1، نوفمبر 2009 م.

77 . ندوة بعنوان: «خبراء الإعلام ينصحون بعدم الاندماج في العالم الافتراضي». بثّت بتاريخ: 2015/3/18 على قناة «الجزيرة مباشر».

78 . نورا الأمير: اغتراب الشباب ظاهرة عربيّة مركّبة، نشر في موقع شبكة مدارس الإمارات، بتاريخ 2009/7/9 م.

79 . نون علوان: طبقة الأثرياء الجدد، مظاهر خدّاعة عزّزتها منصّات التواصل الاجتماعيّ، مقال نُشر على موقع «نون بوست»، 2018/12/20 م.

80 . وثائقي «المعضلة الاجتماعيّة – The Social Dilemma»، شبكة نت فليكس، ـ الدقيقة 41.

81 . وفاء موسى: الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسيّة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2002 م.

المصادر الأجنبيّة

1. Abu Saileik, D. (2012). The Impact of Electronic Social Networks on the Attitudes of University Students In Jordan and the ir Role In the Development of The Balanced Personality. Unpublished Doctoral Dissertation, Graduate School. University of Jordan.
2. Alone Together: Why We Expect More from Technologies than from Each, New York: Basic Books, 2011
3. Arnone, M.P. et al. (2011) Curiosity, interest and engagement in technology-pervasive learning environments: A new research agenda. Educ. Technol. Res. Dev. 59.
4. Axel Gelfert, "Fake News: A Definition," Informal Logic 38, no.1, (2018).
5. B.S. Honnekeri, A. Goel, M. Umate, N. Shah, A. De Sousa. Social anxiety and Internet socialization in Indian undergraduate students: An exploratory study.Asian Journal of Psychiatry, 27 (2017).
6. Balandier - Georges, sens et puissance, les dynamiquessociales, Quadrige, PUF, Paris, 4°édition, 2004.
7. Black, R. W., Korobkova, K. & Epler, A. (2014). Barbie Girls and Xtractaurs: Discourse and identity in virtual worlds for young children. Journal of Early Childhood Literacy.
8. Bryan S.Turner,"Religion and Modern Society: Citizenship, Secularization and the State", Cambridge University Press, New York, 2011.
9. Christine W. Trültzsch-Wijnen (2020) The Significance of Media for Processes of Socialization, journal of Media Literacy and the Effect of Socialization.
10. Chung, ChunLai – Tai, Pui (2021) Types of social media activities and Hong Kong South and Southeast Asians Youth's Chinese language learning motivation, Journal of System.
11. Cubillas, PilarI báñez- Díaz, Cristina -Martín Ana BelenPérez-Torregrosa, (2017) Social Networks and Childhood. New Agents of Socialization, Journal of Procedia - Social and Behavioral Sciencesm.
12. Danaili, W. (2012). Teens' Use of Social Media: Positive or Negative?. curriculum Review.
13. Dubicka, B., Martin, J., & Firth, J. (2019). Screen time, social media and developing brains: a cause for good or corrupting young minds?. Child and Adolescent Mental Health.
14. Fareri, D.S. and Delgado, M.R. (2014) Social rewards and social networks in the human brain. Neuroscientist.

15. Flinsi, Maryline (2018). Impact of Technology and Social Media on Children. International Journal of Pediatric Nursing.

16. Gironda, J. (2013). Social Networking Sites and Planned Behavior. Academic Search Complete, Summer Educators' Conference Proceedings.

17. Hassan Rachik et Autres, Islam au quotidien, Enquête sur les valeurs et les pratiques religieuses au Maroc, Editions Prologues, (Collection: Religion et Société), Casablanca, 2007).

18. Jacob, Amedie, (2015) The Impact of Social Media on Society, Santa Clara University.

19. Jathan Sadowski, Frank A. Pasquale: "The Spectrum of Control: A Social Theory of the Smart City", First Monday, vol. 20, no. 7 (July 2015).

20. Kaufman, Z., Braunschweig, E., Feeney, J. Dringus, S. & Weiss, H. (2014), Sexual Risk Behavior, Alcohol Use, and Social Media Use Among Secondary School Students in Informal Settlements in Cape Town and Port Elizabeth, South Africa. AIDS Behav. 4(18), 1661–1674.

21. Koutamanis, M., Vossen, H. & Valkenburg, P. (2015), Adolescents' comments in social media: Why do adolescents receive negative feedback and who is most at risk?. Computers in Human Behavior.

22. Lee, C., Shin, J., & Hong, A. (2018). Does social media use really make people politically polarized? Direct and indirect effects of social media use on political polarization in South Korea. Telematics and Informatics.

23. M.M. Antony, K. Rowa, A. Liss, S.R. Swallow, R.P. Swinson. Social comparison processes in social phobia. Behavior Therapy, 36 (2005).

24. Marengo, D., Longobardi, C., Fabris, M. A., & Settanni, M. (2018). Highly visual social media and internalizing symptoms in adolescence: The mediating role of body image concerns. Computers in Human Behavior.

25. Mark. Miller (2021). The warped self. Retrieved in 9 january 2022 from: https://aeon.co/essays/social-media-and-the-neuroscience-of-predictive-processing.

26. Mary W, Nyambura, (2020) Impact of social media platforms on family and household interactions in Limuru town, University of Nairobi.

27. Max Weber, L'éthique protestante et l'esprit du Capitalisme « (,version numérique),les classiques des sciences sociales, préparé par, Jean-Marie Trembly.

28. Ophir E, Nass C, Wagner AD. Cognitive control in media multitaskers.

29. Rivet, Julien, «Psychologie du clash sur Internet: y a-t-il un surmoi numérique à l'heure du web social», slate.fr,10 juillet 2009.

30. Seref Sagiroglu, Duygu Sinanc, "Big data: A review," International Conference on Collaboration Technologies and Systems, (2013).

31. Serenkoa, Alexander, Turelb, Ofir & Bohonisc, Hafsa (2021) The impact of social networking sites use on health-related outcomes among UK adolescents, journal of Computers in Human Behavior Reports.

32. Statecounter (2014). Social Media Stats Kuwait.

33. Tang JH, Chen MC, Yang CY, Chung TY, Lee YA (2016) Personality traits, interpersonal relationships, online social support, and Facebook addiction. Tele-matics Inform.

34. van Stekelenburg, J. (2014). Going all the way: Politicizing, polarizing, and radicalizing identity offline and online. Sociology Compass.

35. Via. Giddens, Anthony (2006) sociology, Polity Press, Cambridge, England.

36. Via. L. Lazarbal (2013) El desarrollo afectivo en niños/as de 0-6 años, Revista arista digital, 38 (2013).

37. Virden, A., Trujillo, A. & Predeger, E. (2014), Young Adult Females' Perceptions of High-Risk Social Media Behaviors: A Focus-Group Approach, Journal of Community Health Nursing.

المواقع الإلكترونيَّة

1. موقع AP؛www.apnews.com
2. موقع BOSTON؛ www.boston.com
3. موقع Emerald insight؛ www.emerald.com
4. موقع France 24؛ www.france24.com
5. موقع GPA PUBLICATIONS؛ www.publications.america.gov
6. موقع Harvard Health Publishing؛ www.health.harvard.edu
7. موقع Ministry of Foreign Affairs؛ www.gov.il
8. موقع Oversight board؛ www.oversightboard.com
9. موقع Philosophy Now؛ www.philosophynow.org
10. موقع Psychology Today؛ www.psychologytoday.com
11. موقع Research Gate؛ www.researchgate.net
12. موقع UNICEF؛ www.unicef.org
13. موقع الأخبار؛ www.al-akhbar.com
14. موقع أرشيف السفير؛ www.archive.assafir.com
15. موقع مركز الجزيرة للدراسات؛ www.studies.aljazeera.net
16. موقع مجلس الاستخبارات القوميّة؛ www.dni.gov